خَبَاثات اسْکابَان

أشخاص المسرحية

أرْكانْت : والد أوكْتاف وزرْبينات.
جيرونْت: والد ليانْدْر وياسانْت.
أوكْتاف : ابن أرْكانْت وحبيب ياسانْت.
ليانْدْر : فتاة مصريّة، ابنة ارْكانْت، وحبيبة ليانْدْر.
ياسانْت : إبنة جيرونْت وحبيبة اوكْتاف.
إسكابان : خبيث، وخادم ليانْدْر.
سيلْفاسْتْر: خادم أوكْتاف.
نيرين : مرضع ياسانْت.
كارْل : خبيث آخر.

الأحداث تجري في نابولي.

الفصل الأول

المشهد الأول

أوكْتاف وسيلْفاسْتر.

أُوكْتاف : هذا خبر مزعج في نظر شاب عاشق. على أي مشكل أراني مقبلاً ؟ هل حقّاً علمت من المرفأ بأن والدي عائد ؟

سيلْفاسْترْ : نعم.

أُوكْتاف : ويصل في هذا النهار.

سيلْفاسْترْ : في هذا اليوم بالذات.

أُوكْتاف : وهو مصمّم على تزويجي.

سيلْفاسْترْ : نعم.

أُوكْتاف : بابنة ‑السيد جيرونْت ؟

سيلْفاسْترْ : أجل بابنة السيد جيرونْت.

أُوكْتاف : التي استدعاها من مدينة تارانت لهذه الغاية ؟

سيلْفاسْترْ : نعم، نعم.

أُوكْتاف : وانت علمت بهذا النبأ من عمّي ؟

سيلْفاسْترْ : نعم من عمّك.

أُوكْتاف : وقد طلبها والدك في رسالته الأخيرة ؟

سيلْفاسْترْ : اجل في تحريره الأخير.

أوكْتاف : وعمّي هذا، على ما بلغني، يدري بكل شؤوننا ؟
سيلْفاسْترْ : أجل، أجل، بكل شؤونك.
أوكْتاف : هيا اسرد لي كل ما تعرفه، ولا تدعني انتزع من فمك كل كلمة بمفردها.
سيلْفاسْترْ : هناك المزيد، وتريد أن أخبرك به ؟ مع أنك مطّلع على كل التفاصيل وتذكرها لي واحداً تلوى الاخر.
أوكْتاف : انصحني على الأقلّ، وأشر عليّ بما يجمل بي أن أفعل في هذه الظروف الصعبة.
سيلْفاسْترْ : اراني مرتبكاً اكثر منك، وانا بحاجة الى الارشاد اكثر ممّا تحتاج انت اليه.
أوكْتاف : هذه العودة غير المنتظرة تضايقني وتشلّ تفكيري.
سيلْفاسْترْ : وانا منزعج منها اكثر ممّا تتصوره انت.
أوكْتاف : عندما يدري والدي بكل هذه الخفايا ستنهال عليّ الملامات والتوبيخات.
سيلْفاسْترْ : توبيخاته غير هامّة. فأنا أتمنّى ان يكتفي بها في مثل وضعي. لكن يبدو اني سأدفع ثمناً أغلى بكثير بسبب تعنّته، وأتوقّع بوضوح أن هناك ضربة ستنهال على كتفيّ وستهدّ ظهري.
أوكْتاف : كيف السبيل الى الخلاص من هذه الورطة ؟
سيلْفاسْترْ : هذا ما عليك أن تفكّر به قبل أن تجرّني انا ايضاً اليها.
أوكْتاف : ما أقسى دروسك، وهي في غير محلها.
سيلْفاسْترْ : في الحقيقة تخنقني سماجة تصرفاتك الطائشة.
أوكْتاف : ماذا يسعني أن أفعل ؟ أي قرار عليّ أن أتّخذ ؟ والى اي علاج أبادر لمداواة هذه العلّة المباغتة ؟

المشهد الثاني

إسْكابان وأوكتاف وسيلفاستر

إسْكابان : ما بك، يا سيدي أُوكتاف ؟ ما الخبر ؟ ما هذا الاضطراب ؟ اراك في أشد الارتباك.

أُوكْتاف : آه، يا اسكابان المسكين. لقد هلكت، وانا على شفير اليأس. صدّقني إن قلت لك اني أتعس إنسان في هذه الدنيا.

إسْكابان : كيف تقول ذلك ؟

أُوكْتاف : أولم يبلغك أي خبر عن وضعي ؟

إسْكابان : لا.

أُوكْتاف : والدي يصل اليوم بصحبة السيد جيرونت، وكلاهما مصمّمان على تزويجي.

إسْكابان : وماذا يزعجك في هذا الخبر السارّ ؟

أُوكْتاف : آسف لانك لا تدري سبب قلقي.

إسْكابان : كلا. وماذا يمنعك من إخباري بذلك ؟ وانت تعرف أني رجل مسالم، يسرّني أن أحلّ مشاكل الشباب بهدوء.

أُوكْتاف : آه، يا اسكابان. ليتك تستطيع أن تجد لي مخرجاً، لانقاذي من قعر الورطة التي أجد نفسي فيها. فأكون لك شاكراً مدى الحياة. لأنك تخلصني من هلاك محتّم.

إسْكابان : لا أخفي عنك أني أتوصّل الى حلّ معظم المشاكل، عندما أهتمّ بها جدّيّاً. لأن السماء حَبَتْني بمهارة لا تقف في وجهها اية صعوبة، مهما كانت عسيرة. فأنا كما تعرفني، قادر على ابتكار شتّى المجاملات والنكات والفكاهات والمناجاة والمغامرات والسمسرات التي يسمّيها بعض الناس لياقات أو شعْوَذات، والبعض الآخر يدعوها خباثات. ويمكنني القول بدون تبجُّح اني من الاشخاص القلائل الذين برعوا في زرع الفتن وحصد الكوارث. وليس في الكون اسرع مني في تطبيق القول المأثور ان مصائب قوم عند قوم فوائد. ولا أتدخّل في معضلة لحلّها، إلاّ وكان لي فيها حصّة الأسد. وبما أن النبوغ لا يُقدَّر

اليوم حقّ قدره، تراني دائماً غارقاً في لجّة الافلاس.

أُوكْتاف : كيف يتّفق لك ذلك ؟ وأية مشكلة خرجت منها خاسراً ؟

إسْكابان : هناك مغامرة اشتبكت فيها أنا والعدالة.

أُوكْتاف : انت والعدالة ؟

إسْكابان : اجل تنازعت انا واياها.

سيلْفاسْترْ : تقول انت والعدالة.

إسْكابان : نعم، نعم، لأنها قَسَتْ عليّ، بينما كنت أشكو وأتململ من جَوْر هذه الايام. فقررتُ الامتناع عن الاشتراك في أي حلّ. وقضيّتي تلك لا توازي عِشْر مغامرتك.

أُوكْتاف : هل تعلم، يا إسكابان، أن والدي والسيد جيرونْت ركبا البحر منذ شهرين للقيام برحلة تجارية بغية انجاز صفقة اشتركا فيها كلاهما.

إسْكابان : أنا مطّلع عليها.

أُوكْتاف : وأني انا وليانذر بتنا موضوع إهمال ابوينا، ووُضِعْنا كلانا تحت رحمة سوانا، أنا في عهدة سلفاستر، وليانذر تحت إشرافك.

إسْكابان : سأقوم بواجبي خير قيام.

أُوكْتاف : بعد زمن وجيز صادف ليانذر صبيّةً مصرية، وهام بحبّها.

إسْكابان : أعرف ايضاً هذا.

أُوكْتاف : انت تدري كم هي متينة صداقتنا انا وليانذر. لذا إئتمنني على سرّ حبّه ورافقته لمقابلة تلك الفتاة التي وجدتها حقاً جميلة، ولكن ليس بمقدار ما أطنب بوصفها لي. فلقد راح يكلّمني عنها كل يوم مراراً، ويبالغ في تعداد تفاصيل حسنها، ويمتدح لي ذكاءها، ويتغنّى بسحر عينيها، وينعتها بأحلى الأوصاف، ويردّد علي عباراتها الرصينة، ويحاول ان يقنعني بأن كلامها أبلغ ما قيل في الدنيا. وكان يعاتبني أحياناً اذا لم أظهر له استحساني لما يكرره على مسامعي، ويلومني على قلة اكتراثي، اذا لم تبرق عيناي طرباً لما يزيّنه لي من أحاديث الهوى وشجون الشوق والهيام.

إسْكابان : لم افهم بعد الى اين تريد ان تصل بي في هذا الميدان الفسيح.

أُوكْتاف : ذات يوم رافقته الى زيارة بعض الأصحاب. وكانت هناك الفتاة التي

يبني عليها آماله واحلامه. فسمعنا في أحد البيوت المنفردة، وسط شارع منعزل، صوت أنين ممزوج بسيل من شهيق البكاء والتأوّه. فسألنا عن السبب. فأجابتنا امرأة صعّدت الزفرات، ان هناك اشخاصاً غرباء يستدعون الشفقة والرثاء لحالهم، إلّا اذا لم يبقَ في الدنيا من شعور انساني.

إسْكابان : الى اين يقودنا هذا الحديث ؟

أُوكْتاف : عندئذ دفعني حبّ الاستطلاع الى الطلب من لياندر بإلحاح أن نرى ما الخبر ؟ فدخلنا قاعةً مهملة، وجدنا في احدى زواياها امرأة عجوزاً تنازع، والى جانبها خادمة تداريها وتتحسّر عليها، وبقربها صبية تزرف الدموع، عليها مسحة من الجمال ربما كان اروع ما يمكن أن يشاهده إنسان في الدنيا.

إسْكابان : ها، ها.

أُوكْتاف : أؤكد لك ان فتاةً غيرها في مثل بؤسها كانت بدت كامدة الملامح، لانها لم تكن مرتدية سوى ثوب قاتم قبيح المنظر وصدرة مصنوعة من نسيج خشن، وعلى رأسها قبعة صفراء مشمورة الجوانب تتدلّى منها خصل شعرها المشعّث وتتبعثر على كتفيها. ومع ذلك كانت مشرقة المحيّا كنور الصباح، تجتذب الانظار إعجاباً، كأنها ألطف مخلوقة على وجه الأرض.

إسْكابان : ها قد بدأت أُدرك خفايا الأمور.

أُوكْتاف : لقد أبصرتها، يا اسكابان، في وضع بسيط أثبت لي انها حقاً رائعة.

إسْكابان : انا لا اشكّ بصدق كلامك. وبدون أن أراها، أجد أنها فعلاً احلى الصبايا جميعاً.

أُوكْتاف : ودموعها لم تكن ابداً مدعاةً للإشمئزاز منها بسبب كآبة سحنتها، بل بالعكس كانت، وهي تبكي، تسحر الالباب وتستدرّ العطف والاعجاب، إذ كانت تَسِمُها بمعالم اللطف والنعومة والأنوثة الجذّابة.

إسْكابان : ها أنا ايضاً أَلْمح رقّتها تماماً كما شاهدتها انت.

أُوكْتاف : وكان منظرها يحمل على مشاركتها النحيب وهي منحنية على تلك العجوز المنازعة التي كانت تدعوها « أُميمتي العزيزة ». وليس في الكون من إنسان لا ينقبض قلبه ويضيق صدره لمرأى هذا المشهد الحزين.

إسْكابان : حقيقةً، أحْسَسْتُ بما شعرتَ انت به من الانجذاب اليها، وبتُّ استلطفها مثلك.

أُوكْتاف : في الواقع، يا اسكابان، لا سبيل الى مقاومة سحر عينيها الذي يستميل اقسى المُهَج.

إسْكابان : لا شكّ عندي في ما تقول. لان قلبي نظير فؤادك عطوف، وليس مقدوداً من الصخر الأصمّ.

أُوكْتاف : وبعد تبادلي وإياها بعض الحديث الرقيق، حاولت أن أخفّف من آلامها، واهوّن عليها فجيعتها. خرجت أنا وليلندر من ذلك المكان الكئيب، وسألته رأيه في تلك الفتاة الجذّابة. فأجابني ببرود أنه يجدها مقبولةً لا بأس بها. فأزعجني ما أبداه من فتور حيالها، وما لمسته في ردّه من برود. لكنني لم أشكف له شدة استغرابي من موقفه الجامد بالنسبة الى ما شعرت به انا من إعجاب ببساطتها ومن حماس وتقدير لبهاء طلعتها.

سيلْفاسْتْرْ (لأوكتاف) : ما رأيك في تأجيل سردك لي باقي قصّتك واياها حتى يوم الغد ؟ فأكون لك من الشاكرين. دعني أختم حديثي بكلمتين. (لإسكابان) : ألمس لمس اليد أن فؤاده وقع اسير هوى هذه الصبيّة المسكينة. لأن زياراته المتكرّرة لم تَلْقَ اية لفتةٍ من قِبَل الخادمة التي اصبحت رفيقة الصبيّة بعد وفاة والدتها. وهذا ما غمر بالقنوط صدر صاحبنا الولهان. ومهما حاول ان يلحّ عليها ويتوسّل اليها ويستعطفها، لم تنجح جميع الوسائل في تليين موقفها الحازم تجاهه. وقيل له إن هذه الفتاة، وان كانت بلا مال ولا سند، هي من اسرة شريفة، ولن تنفع في استمالتها كافّة الإلحاحات والتوسّلات، إلّا اذا عمد الى وسيلة واحدة فعّالة، هي شدّها اليه بوثاق الزواج. فضاعف ذلك رغبته في نَيْل رضاها وكسْب عطفها، لأنه ممن تزيدهم الصعوبات في غرامها تعلّقاً وتشبثاً وشوقاً الى امتلاك مهجتها والتمتع بعذوبة ألطافها. ففكّر مليّاً ووازن بين حسناتها وسيّئاتها، وسرعان ما اتخذ قراره النهائي، ألّا وهو الاقتران بها مهما كلفه الأمر. وها قد مضت عليه ثلاثة أيام، وهو ينعم بروعة جمالها كرفيقة حياته وشريكة عمره.

إسْكابان : استوعبتُ تماماً ما شئتَ أن تسرده لي من قصة غرامه.

سيلْفاسْتِرْ : أضفْ الى ذلك عودة ابيه غير المنتظرة الآن، لأنه كان ينوي أن يأتي بعد شهرين. وها قد اكتشف عمه سرّ زواجه هذا، وقارنه بالزفاف الآخر الذي كان يُخطط له الى ابنة السيد جيرونت، وكانت قد أنجبتها له زوجة ثانية، يقال انه اقترن بها في مدينة تارانت.

أوكْتاف : وفوق كل ما سبق ذكره، لا يغربْ عن بالك فقر الصبيّة المسكينة الجميلة، وعدم قدرتي على مساعدتهما نظراً الى هزال احوالي المالية.

إسْكابان : أعتقد أن هذا هو صُلْب المشكلة. وها أنتما كلاكما رهينتا مسألة تافهة. هل تجد ان الامر يستحقّ كل هذا الارتباك والاضطراب ؟ الا تستحي من نفسك أن تكون قاصراً خيال موقف بسيط كهذا ؟ انت بطولك وعرضك، ودهائك وذكائك، لا تجْد وسيلة ولا سبيلاً الى مساعدة هذا الشاب المسكين على تسوية وضعه ؟ تبّاً لك من قليل الحيلة. لو كنت أنا مكانك لوجدت حتماً طريقة لتبديل هذا القلق والهمّ بانفراج واسع النطاق. أجل، عندما كنت صغير السنّ ما عييت عن ابتكار ألْف حيلة للوصول الى غايتي المنشودة.

سيلْفاسْتِرْ : أنا لا أنكر ان حظي لم يزوّدني بمواهبك الغزيرة، واني لا اصل الى عِشْر ما تتمتع به من القدرة على تدبير الامور وحلّ أعسر العِقَد بدون مخالفة ايٍّ من قوانين الحق والعدالة.

أوكْتاف : ها قد اقبلت حبيبتي ياسانْت.

المشهد الثالث

ياسانت واوكتاف واسكابان وسيلفاستر.

ياسانْت : يا اوكتاف، هل هو صحيح ما قاله سيلفاستر لنيرين عن عودة ابيك، وعن رغبته في تزويجك.

أوكْتاف : أجل، يا عزيزتي ياسانت الحلوة. وهذا النبأ يشغل بالي ويقضّ مضجعي. لكن ماذا ارى ؟ لماذا تبكين ؟ لماذا تسيل الدموع على خدّيك ؟

هل تشكّين بأمانتي وإخلاصي ؟ هل تظنّين بي سوءاً أولستِ مرتاحةً الى زواجنا ومؤمنةً بصفاء ما احفظه لكِ من الحب الصادق ؟

ياسانت : اجل يا اكتاف، أنا واثقة كل الثقة بأنك تهواني. ولكن غير مؤمنة بدوام حبك لي طوال العمر.

أوكْتاف : وهل يسعني أنَ أحبك، وأن لا يدوم هيامي بك طوال الحياة ؟

ياسانت : لقد سمعت، يا اوكتاف، أن عشق الرجال لا يدوم بقدر ما يطول عمر الحب في قلوب النساء، وان حماس الرجل في فاتحة عهد غرامه لا تلبث جذوته ان تخمد بسرعة.

أوكْتاف : لا، يا عزيزتي ياسانت، فؤادي ليس كسائر قلوب الرجال. لأني أحسّ في أعماقي بأني لن انقطع ابداً عن التدلّه بحبك، وسأظلّ أهواك حتى بعد ان يضمّني القبر.

ياسانت : أنا أريد أن أصدّق ما تردّده عليّ من معسول الكلام وتأكيد عهودك لي. لكنني أخشى أن يتغلّب يوماً على عواطفك ما اخشى أن يكون اقوى من الحب الذي يملأ الآن صدرك، وهو إصرار والدك الذي يريد أن يزوّجك فتاة غيري. كن على يقين بأني سأموت إن رأيتك تميل الى سواي، وحلول ذلك سيكون الكارثة القاتلة.

أوكْتاف : لا، لا، يا حلوتي ياسانت. لن يتوصّل ابي الى تحقيق رغبته هذه، ولن يتمكّن من فصلي عنك وتحويل هيامي الى امرأة سواك. فأنا مستعد أن أهجر معك هذه البلاد اذا ألحّ ابي على تحقيق حلمه بزفّي الى غيرك. لقد بتّ اكره هذه الفكرة، وأجنّد الآن جميع طاقاتي لمحاربتها وتفشيلها. حتى إن لم أكنْ شرير الطباع، وقلبي غير مقدود من الصخر الجلمود، لن أصغي الى صوت أي شخص في الدنيا يريد إبعادي عنك. فلا تبكي، بل كفكفي دمعك، يا حبيبتي ياسانت. لأن دموعك كالحراب تطعن فؤادي الذي لا يحيا إلّا بما تحيطينني به من عطفك وحنانك.

ياسانت : بما أنك تطلب مني أن أمسح دموعي، ها أنا استجيب طلبك راضية ولتفعل السماء بحبّنا ما تشاء.

أوكْتاف : ثقي بأنها لن تحجب عنا السعادة والهناء.

ياسانْت : سأكون دائماً بخير اذا بقيتَ اميناً متشبثاً بهوانا.
أوكْتاف : سأظلّ عند حسن ظنّك بي ما دام قلبي ينبض بالحياة.
ياسانْت : ستغمر الطمأنينة كل أيامي في ظل رعايتك ومحبتك.
إسْكابان (على حدة) : لعمري، أجدها ذكية سديدة التفكير.
أوكْتاف (يشير الى إسكابان) : هذا الرجل، اذا اراد، سيكون لنا عوناً قديراً على تأمين جميع حاجاتنا عند الاقتضاء.
إسْكابان : لقد اقسمت يميناً مغلظة أن لا أتدخّل في أمور سواي. لكن اذا سألتماني انتما الاثنان أن اساعدكما، ربما ...
أوكْتاف : اذا كنت تكتفي بأن نرجوك كي تساعدنا، فحبّذا لو ترضى ان تمدّ لنا يد العون لحلّ مشاكلنا عند اللزوم.
إسْكابان (لياسانت) : وانت لم اسمعك تتلفّظين بكلمة واحدة.
ياسانْت : ألتمس منك أن تعيننا مثلاً على إبقاء حبنا متأججاً بين ضلوعنا.
أوكْتاف : هل تعتقدين ...
إسْكابان (لأوكتاف) : أصمت. (لياسانت) : ثقي بي، وكوني مطمئنة البال. (لاوكتاف) : كن على استعداد للمحافظة على حزمك أوّلاً تجاه ابيك.
أوكْتاف : لا أُخفي عنك أن هذه القضيّة تُرعد فرائصي منذ الآن. لأني اخشى أن ألين بسبب الحياء الطبيعي الذي يتغلب عليّ عادة.
إسْكابان : مع ذلك لا بدّ لك من أن تكون رابط الجأش لدى أوّل صدام، لئلا يغدر بك ضعفك وتخسر معركتك بتصرفك كالصبيان الصغار. عليك أن تتمالك نفسك وتستجمع كل شجاعتك ورباطة جأشك لتجابه أي ضغط يمارس عليك، وتقف كالسنديانة الصلبة في وجه رياح المعارضة التي تهبّ عليك.
أوكْتاف : سأفعل كل ما بوسعي في هذا السبيل.
إسْكابان : تعالَ نجرّبْ، لنعرف كيف يكون صمودك. راجع دورك في هذه الرواية الحاسمة ولنرى ما يكون من أمرك. كن صارم الملامح، عالي الجبين، ثابت الجنان.
أوكْتاف : هكذا ؟

إسْكابان : بل أشدّ قليلاً.
أُوكْتاف : أبهذا المقدار ؟
إسْكابان : حسن. تصوّر أني والدك القادم من السفر، وأجبني بحزم على أسئلتي كما سترد عليه عند الاقتضاء. « كيف تسمح لنفسك، يا شقي، يا عقوق، يا ايها الابن الذي لا يستحق أن أكون لك والداً، كيف تتجاسر على الوقوف أمامي، بعد تصرّفك الغبي الخسيس اثناء غيابي. هل هكذا تكافئ اتعابي وسهري على تربيتك ؟ اين الاحترام والإعتبار المتوجّب عليك نحو أبيك ؟ لا يسعني أن اصدّق انك ارتبطت سرّاً واقترنت بفتاة لا أرضى بها أنا والدك. أجبني ايها الغبي الوقح، أجبني ايها الاحمق المغرور. لماذا خرجت علي طاعتي. لماذا ؟ لماذا تظلّ هكذا صامتاً لا تردّ على اسئلتي ؟.
أُوكْتاف : لا اريد ان اجيب بخشونة على ما تطرحه عليّ من اسئلة، يا ابي.
إسْكابان : نعم، كان عليك، يا جبان، ان لا تغتنم فرصة غيابي وتُقْدم على هذه الفعلة الشنيعة.
أُوكْتاف : لا أُحَبَّ عليّ من إتخاذ قراري بنفسي، ومن إجابتك بحزم.
إسْكابان : طبعاً هذا ما أطلبه منك.
أُوكْتاف : بدون شكّ.
سيلْفاسْترْ : ها هوذا والدك قد أقبل.
أُوكْتاف (وهو يهرب) : يا إلهي. لقد هلكت لا محالة.
إسْكابان : يا اوكتاف، ماذا دهاك ؟ قِفْ، يا اوكتاف. هيا قِفْ وعُدْ. لماذا تهرب ؟ ما أجبنك، يا احطّ الرجال. لا تدعْ أباك الشيخ ينتظر رجوعك بفارغ الصبر.
سيلْفاسْترْ : وماذا اقول له ؟
إسْكابان : أتركني، أنا اردّ عليه، وأنت اتّبع خطّتي.

المشهد الرابع

ازْكالُت، وإسكابان، وسيلفاستر.

أزْكالُت (يظنّ نفسه وحيداً) : هل كلّمه أحد في قضية مماثلة ؟
إسْكابان : لقد إطلع على المسألة، وأطاشت صوابه الى درجة جعلته يتحدّث وحده بصوت عالٍ.
أزْكالُت (يظن نفسه وحيداً) : هذه جسارة منقطعة النظير.
إسْكابان : لنستمع اليه قليلاً.
أزْكالُت (يظنّ نفسه وحيداً) : كم أودّ أن أعرف بماذا يمكنه أن يعتذر لي في موضوع هذا الزواج الموفّق الذي أهيّئه له.
إسْكابان (على حدة) : انا فكّرت في هذا الأمر.
أزْكالُت (يظن نفسه وحيداً) : وهل يحاول أن ينكر ما حدث ؟
إسْكابان : كلّا. لم أفكر بذلك.
أزْكالُت (يظن نفسه وحيداً) : أو إنه سيهتدي الى حجّة ستكون واهية ؟
إسْكابان : هذا غير مستبعد.
أزْكالُت (يظن نفسه وحيداً) : وهل يسرّه أن يقصّ علي حكاية خيالية ؟
إسْكابان : ربّما.
أزْكالُت (يظن نفسه وحيداً) : كل أعذاره ستظلّ غير مجدية.
إسْكابان : سنرى إن كان ذلك صحيحاً.
أزْكالُت (يظن نفسه وحيداً) : لن يستطيع خداعي أو إقناعي.
إسْكابان : لا سبيل الى تأكيد هذا.
أزْكالُت (يظن نفسه وحيداً) : سأُوسِع سيلفاستر ضرباً مؤلماً.
سيلْفاسْتْرْ (لاسكابان) : كانت الدهشة استولت عليّ، لو تغافل عن وجودي.
أزْكالُت (يلمح سيلفاستر) : ها، ها. أنت هنا، أيها المستشار القانوني، يا مرشد الشبان، يا سديد الرأي وبليغ البيان.
إسْكابان : يسرني ان اراك قد عدت.
أزْكالُت : نهارك سعيد، يا اسكابان. (لسيلفاستر) : اراك نفّذت اوامري حرفيّاً

بصورة مُثلى. لذا تصرّف ابني حسب نصيحتك بطريقة حكيمة اثناء غيابي.
إسْكابان : اجدك تتمتع بصحة جيدة، يا سيدي.
أزْكانْت : لا بأس، والحمد لله. (لسلفاستر) : لا أسمعك تتلفّظ بكلمة، أيها المحتال.
إسْكابان : اعتقد أن رحلتك كانت موفقة.
أزْكانْت : على قدر الإمكان، والحمد لله. دعني أباشر المشاجرة برواق.
إسْكابان : هل تريد أن تشاجر ؟
أزْكانْت : اجل أريد أن أشاجر جدّياً.
إسْكابان : تشاجر من، يا سيدي ؟
أزْكانْت (يشير الى سيلفاستر) : هذا الغبي الأحمق.
إسْكابان : ولماذا ؟
أزْكانْت : ألم تعلم بما أقدم عليه اثناء غيابي ؟
إسْكابان : أجل دريت بحدوث أمر بسيط.
أزْكانْت : كيف تدعو ذلك امراً بسيطاً، وهو في الواقع تصرّف خطير ؟
إسْكابان : ربما كان بعض الحق الى جانبك.
أزْكانْت : أتتكلّم بمثل هذه الجسارة ؟
إسْكابان : هذا صحيح. لماذا لا ؟
أزْكانْت : ابني يتزوج بدون موافقتي أنا والده ؟
إسْكابان : طبعاً، لا بأس من النقاش في مثل هذه القضية. لكن يجمل بك أن لا تثير حوله ضجّة مزعجة.
أزْكانْت : انا لا ارى هذا الرأي، وأُصرّ على اثارة ضجة مدوّية، بكل ما أُوتيت من قوة. ألا تجد أني على حق في صبّ جام غضبي على جميع من سعوا الى معاكستي ومشاكستي ؟
إسْكابان : لو كنت انا مكانك، وعلمت بأن الأمر قد قُضي، لكنت افتعلت المعركة وخاصمت الذي أظهره نحوك هو الذي كان عليه أن يقبّل يديك، ويلتمس رضاك حتماً. ولكنت وجّهت اليه كلاماً لا يقلّ عنفاً عما خاطبته به أنت والده وعلّة وجوده. لكني تبصّرت وتريّثت ونظرت إلى المأساة بعمق

ورويّة، لأنه في الحقيقة ليس مخطئاً تماماً كما تتصوره أنت.

أرْكانْت : ما هذه البدعة الصبيانيّة التي تُطالعني بها ؟ تقول أنه ليس مخطئاً في اقترانه بفتاة مجهولة ؟ انا لا أجد أسخف من تصرفه الطائش بمثل هذه الحماقة.

إسْكابان : وهل تلومه اذا ساقته ظروفه الى مصيره هذا المحتوم ؟ لأن ما كتب على الجبين، كما تقول الأغنية، لا بد من ان تراه العين.

أرْكانْت : هذا منطق مضحك حقاً. ما هذه الحجة الواهية ؟ إن طبّقنا فكرتك نرتكب أفظع الجرائم والحماقات، ونغشّ، ونسرق، ونقتل، ويكون عذرنا اننا منساقون وراء مصيرنا المحتوم، كما تدّعي.

إسْكابان : يا الهي. كيف تحمل كلامي على محمل هذه الفلسفة العرجاء. أنا لا اجد له عذراً بل أعْزي تصرّفه الى قدره الذي دفعه الى هذه النتيجة التي ارتضاها.

أرْكانْت : ولماذا يستسلم الى قدره، اذا كان سيودي به الى هذا العمل الشاذّ ؟

إسْكابان : وهل تطلب من ولدك الشاب أن يكون حكيماً مثلك، وقد بلغت أنت درجة متقدّمة في النضوج والتروّي ؟ هل نسيت أن الصِبَا بعيد كل البعد عن التحفّظ والتبصّر والتقيُّد بالمنطق السليم ؟ والشاهد على ذلك لياندر الذي رغم كل التنبيهات والتحذيرات أقدم على تصرّف أغرب مما أتاه ابنك. آه، كم أودّ أن أعرف لو كنت أنت لا تزال شاباً في مثل وضعه إن كنت لا تحذو حذوه وتنقاد الى العوامل ذاتها التي شدّته الى مصيره المقبول.

أرْكانْت : ربما كان هذا في الواقع صحيحاً. ولكني كنت اكتفيت بمغامرة طفيفة وما غُصْتُ نظيره في بحر أهوائه التي اوقعته في هذا الشرك المهلك.

إسْكابان : وكيف تريد منه أن يتصرّف عندما يشاهد صبية حسناء لا تتمنّى له إلّا الخير والهناء. وهو نظيرك قد ورث عنك حب الحسان الفاتنات. فوجدها رائعة وثابر على زيارتها، ووجّه اليها حلو الكلام، وتبادلا المناجاة التي تروي غليل اشواقه وعواطفه وتستجيب امانيه وأحلامه الزاهية. وهي من جهتها انجذبت الى سحر شبابه ووعوده البرّاقة، ولم يقفا كلاهما عند حدّ اللياقات،

ففوجئ بإلحاح ذويها الذين اجبروه على الإقتران بها.

سيلْفاسْترْ (على حدة) : ما ادهاه من خبيث محتال.

إسْكابان : فهل كنت تفضّل والحالة هذه أن يتعرّض ابنك للقتل، أَوَلَم يتدارك التهديد بهذا الحلّ الواجب. أولا ترى معي ان زواجه هذا خير من فقدانه، لا سمح الله.

أزْكانْت : لم يشرْ لي احد أن المعضلة وصلت الى هذا الحدّ من التعقيد.

إسْكابان (يشير الى سيلفاستر) : إسأله فها هو الآن أمامك، ولن يُنكر اقوالي.

أزْكانْت (لسيلفاستر) : اذاً أُجبر إبني على هذا الزواج إجباراً ؟

سيلْفاسْترْ : أجل، يا سيدي.

إسْكابان : وما هي مصلحتي في ان اكذب عليك ؟

أزْكانْت : عليه الآن اذاً أن يبادر ويحتجّ رسميّاً على هذا العنف الذي راح ضحيته.

إسْكابان : وهذا ما لم ولن يقبل بأن يفعله.

أزْكانْت : لكنه سَبَبٌ شرعي لفسخ الزواج.

إسْكابان : تريد منه أن يفسخ زواجه ؟

أزْكانْت : نعم، نعم.

إسْكابان : لا سبيل الى فسخه أبداً.

أزْكانْت : كيف لا ؟

إسْكابان : لا سبيل بتاتاً.

أزْكانْت : ماذا تقول ؟ أوليس هناك من حقوق ؟ أين رضى الوالد ؟ وأين حق المنطق السليم، عندما يمارس مثل هذا الضغظ والعنف والتهديد على ولدي لإجباره على هذا الزواج السخيف ؟

إسْكابان : ابنك لا ينظر الى الأمر نظرتك انت.

أزْكانْت : ولماذا ؟ ما هي حجّته ؟

إسْكابان : يكفي أن يكون رأيه مخالفاً لرأيك، وهو حرّ التصرّف.

أزْكانْت : هل يخالفني ولدي في الرأي ؟

إسْكابان : اجل. هل تريد أن يعترف لك بأنه لم يقوَ على مجابهة الواقع خشية

عواقبه الوخيمة. فآثر الصمت، وقَبِل راضياً ما آل اليه مصيره، على أن يفتح باب الفضائح والمهاترات على مصراعيه. ولكان آنذاك مرّغ سمعته، وبالتالي سمعتك أنت والده، بأوحال الاستهتار والرعونة.

أزْكائت : هذا لا يهمّني كثيراً.

إسْكابان : أوَلَا تجد ان المحافظة على شرفه وعلى شرفك أيضاً تقتضي ان لا يدع سمعته وسمعتك انت ايضاً تلوكهما الالسنة الطويلة الزَلِقة ؟ لكنه تروّى وفضّل ان يتم زواجه هذا، وان يصون صيته الطيّب بقرانٍ اضطراري، يقوم على الرضوخ للأمر الواقع.

أزْكائت : انا لا ارى هذا الرأي مطلقاً، وأجد أن سلامة شرفه وشرفي توجب عليه إعلان العكس تماماً.

إسْكابان : لا، لا. أنا على يقين بأنه لن يفعل ذلك. لأنه ليس من صالحه، كما قلت لك.

أزْكائت : انا اجبره على الإنصياع لهذا الحلّ.

إسْكابان : وانا أؤكد لك وأكرر أنه لن يفعل.

أزْكائت : سينفّذ ما أريد، وإلّا حرمته من الميراث.

إسْكابان : أنت تحرمه ؟

أزْكائت : اجل، أنا ...

إسْكابان : طيّب.

أزْكائت : ما معنى طيّب.

إسْكابان : انا على أتمّ الثقة بأنك لن تحرم ولدك من حقوقه.

أزْكائت : ولماذا لا أحرم إبني، اذا لم يطاوعني ؟

إسْكابان : لن تحرمه.

أزْكائت : سنرى إن كنت سأحرمه أو لا.

إسْكابان : أجل لن تحرمه.

أزْكائت : هذا خبر مضحك. ولماذا لا أحرم ولدي، اذا خرج على طاعتي ؟

إسْكابان : اكرّر عليك انك لن تحرمه.

أزْكائت : ومن يمنعني عن عمل ما أشاء ؟

إسْكابان : انت نفسك.
أزْكائت : أنا ؟
إسْكابان : انت، نعم، انت. لأن قلبك الأبوي لن يصل بك الى هذه القسوة.
أزْكائت : بل سيصل بي، فأنا أتمكن من التحكُّم به.
إسْكابان : هل تهزأ بنا ؟
أزْكائت : انا لا اسخر ابداً من أحد.
إسْكابان : حنوّك الوالدي سيحول دون تنفيذك هذا التهديد. والوعيد.
أزْكائت : عندما تجري الأمور على غير ما أروم، لن يؤخرني اي مانع.
إسْكابان : هذا قول لن تتقيّد به مطلقاً.
أزْكائت : بل انا الذي أقول وأفعل.
إسْكابان : هذا الكلام تتلفّظ به شفتاك، ولن يرضى قلبك المحب بتنفيذه.
أزْكائت : هذه حجة واهية لا تقنعني.
إسْكابان : يا الهي. أنا أعرف حنوّك، وأثق بطيبة قلبك وحبك لإبنك.
أزْكائت : انا لست طيب القلب ولا رقيق العواطف، بل انا لئيم متى شئت، لا سيما عندما يستفزّني العُقوق والجُحود. لنقف عند هذا من نقاشنا العقيم الذي يضيق له صدري ويبتليني بالعلل. (يوجّه كلامه الى سيلفاستر) : أُغرب عن وجهي ايها الجاحد، واذهب لاستدعاء ولدي، بينما أنا أوافي السيد جيرونت لأحدّثه عن خيبة املي.
إسْكابان : اذا استطعت أن أفيدك في أمر من الأمور، لا تتردّد في طلبي، فأحضر فوراً بكل سرور لتلبية رغبتك.
أزْكائت : أشكرك. (على حدة) : آه ! لماذا أصبح ولدي وحيدي. كم آسف على فقداني ابنتي التي كنت جعلتها في هذه الحالة وريثتي الوحيدة.

المشهد الخامس

اسكابان وسيلفاستر

سيلْفاسْترْ : انا أُقرّ بأنك رجل عظيم. وها هي قضيتك تسير في الدرب الصحيح. لكن المال من جهة اخرى يستعجلنا للبتّ في القضية. لأن الدائنين يلاحقوننا من كل حدب وصوب.

إسْكابان : دعني اتصرّف، فقد وجدت الحلّ المناسب. والآن لنبحث عن رجلٍ يساعدنا على بلوغ مرامنا، ويقوم بدور الشخص الذي نحتاج اليه. انتظر قليلاً، وتمالك اعصابك. أنزل قبعتك على عينيك كأنك صعلوك حقير، وتظاهر بالخوف والحذر، وانقل خطواتك بتمهّل كأنك ملك المتشرّدين تتهادى على خشبة المسرح. أجل، هكذا. ثم اتبعني. فأنا ماهر في تمويه معالم وجهك وصوتك، وإخفاء شخصيتك الحقيقية. ولن يعرفك أحد ممّن يقع نظرهم عليك.

سيلْفاسْترْ : أرجوك أن لا توقعني في قبضة العدالة.

إسْكابان : لا تقلق. فكلانا نتقاسم المسؤولية معاً. وثلاث سنوات في السجن اكثر أو أقلّ، لن تؤثّر على رغبتنا في التخلّص من هذه الورطة.

الفصل الثاني

المشهد الأول

جيرونت واركانت.

جيرونْت : اجل، في هذا الوقت العسير سيحضر أصحابنا اليوم الى هنا، وبرفقتهم بحّار من مرفأ تارانْت أكّد لي انه أبصر الرجل الذي ننتظره، يتأهّب لركوب السفينة. لكن ابنتي ستصل قريباً عندما تبلغ الفوضى أشدّها، خلافاً لما نترقّبه. وما اخبرتني به أنت عن ابنك يقلب ترتيب التدابير التي اتخذناها سوية رأساً على عقب.

أرْكانْت : لا تزعج نفسك، ولا تضطرب. انا مستعدّ وقادر أن اذلّل هذه الصعوبات. وأُوشك ان أُحقّق النجاح في مسعاي.

جيرونْت : حقاً، يا سيدي اركانت، لست ادري ما اقول لك. فإن تربية الأولاد مسألة دقيقة لا تحتمل أن يتهاون الأهل فيها.

أرْكانْت : طبعاً، بدون شك. ولكن، لماذا تذكر لي ذلك ؟

جيرونْت : لأن تصرّف الأولاد غير اللائق ينجم في أغلب الأحيان عن تربية الأبوين غير الصالحة.

أرْكانْت : قد يحدث ذلك في بعض الأحيان. ولكن ماذا تقصد بهذا التلميح.

جيرونْت : ما اقصده ...

أرْكانْت : نعم.

جيرونْت : لو كنتَ أباً حازماً محنّكاً وقوّمت اعوجاج ولدك، لما كان خيّب رجاءك بما لم يتورّع عن الاقدام عليه.

أرْكانْت : حسن. وهٰذا يدلّ على أنك أنت ربّيت ابنك تربية صالحة.

جيرونْت : بدون شك، ولن أسامحه أبداً لو تصرّف على هذا النحو غير اللائق.

أرْكانْت : واذا أقدم ولدك، الذي ربيته كما يجب، على عمل اسوأ مما فعله ابني انا، ماذا يكون موقفك ؟

جيرونْت : ماذا تقول ؟

أرْكانْت : أجل، ماذا يكون موقفك عندئذٍ ؟

جيرونْت : ماذا تعني بكلامك هذا ؟

أرْكانْت : هذا يعني، يا سيدي جيرونيت، أن الأجدر بك أن لا تحكم بهذه القساوة على الآخرين، وان من يودّ الانتقاد عليه قبلاً أن يتفحّص ما يجري حوله من خلل، وأن لا يرشق جاره بالحجارة عندما يكون بيته من زجاج.

جيرونْت : أنا لا أفهم ماذا تقصد ؟

أرْكانْت : سأشرح لك ذلك بالتفصيل.

جيرونْت : هل بلغك عن إبني ما يشغل البال ؟

أرْكانْت : ربما. فالقضية لا تخلو من الاحتمالات.

جيرونْت : ارجوك أن تبيّن لي ما هو مرامك بالتمام ؟

أرْكانْت : صاحبك اسكابان لم يسرد لي القصة الّا باختصار. ويمكنك أن تطّلع منه او من سواه على بعض التفاصيل. بالنسبة اليّ سأبادر الى استشارة المحامي، واستفهم منه عن الاجراءات التي يجب أن أقوم بها على سبيل الإحتياط. فالى اللقاء.

المشهد الثاني

لياندر وجيرونت.

جيرونْت (وحده) : ما عسى أن تكون هذه المشكلة في الحقيقة ؟ هل هي اسوأ من معضلته ؟ انا لا ارى أن ما يحصل قد يكون اسوأ مما جرى. وأجد ان زواج الإبن بدون موافقة ابيه تتعدّى كل ما يجوز أن نتصوره من حماقات. الآن وقد جئت ...

ليانْدر (يبادر اليه كي يعانقه) : ما أعظم سروريَ بقدومك، يا ابي.

جيرونْت (يرفض معانقته) : مهلاً. لنتكلّم أولاً عما حصل.

ليانْدر : دعني اقبّلك أوّلا ثم ...

جيرونْت (يبعده عن صدره) : مهلاً، قلت لك مهلاً.

ليانْدر : ماذا ارى ؟ هل ترفض معانقتي، يا ابي، ولا تريد ان أُبدي لك شوقي ومحبتي بمعانقتك ؟

جيرونْت : نعم ... امامنا مشكلة لا بد لنا من أن نعالجها ونجد لها حلاً.

ليانْدر : وما هي ؟

جيرونْت : قف منتصب القامة جيداً، كي اتفحّصك.

ليانْدر : لماذا تطلب مني ذلك ؟

جيرونْت : أريد أن أنظر مليّاً الى عينيك.

ليانْدر : هيّا أنظر كما تشاء.

جيرونْت : قلْ لي بصراحة، ماذا حدث لك هنا ؟

ليانْدر : ماذا حدث لي ؟

جيرونْت : ماذا فعلت أثناء غيابي ؟

ليانْدر : وماذا تريد أن أفعل، يا ابي ؟

جيرونْت : انا غير موافق بتاتاً على ما فعلته أنت، واستفسر عمّا قمت به بدون علمي.

ليانْدر : أنا ؟ لم أفعل قط ما لا يرضيك أو تتذمّر منه.

جيرونْت : ألم تُقدِم على أي عمل ؟

ليائْدر : كلا.

جيرونْت : هل أنت صادق في ما تؤكّده لي ؟

ليائْدر : أنا واثق بأني بريء لم اقترف ذنباً يزعج أيّاً كان.

جيرونْت : مع أن اسكابان روى لي عنك بعض الانحرافات.

ليائْدر : إسكابان ؟

جيرونْت : ماذا دهاك حتى احمرّ خدّاك لدى ذكر اسمه ؟

ليائْدر : هل أعلمك ببعض أخباري ؟

جيرونْت : هذا المكان غير ملائم ولا يصلح لفتح موضوعك ومناقشته. علينا أن ننتقل الى زاوية اخرى انسب منها. والأفضل ان نمضي الى المنزل. اسبقني وانا أوافيك بعد هنيهة. هل يسرّك ان تلوّث سمعتي، يا حقير ؟ لن أتردّد في انكار اني ابوك، يا ايها الأحمق. هيّا أغرب عن وجهي الى الأبد.

المشهد الثالث

اوكتاف واسكابان وليائدر.

ليائْدر (وحده) : هل خان الغادر عهدي. يا له من ثرثار. كان عليّ أن أخفي عنه حقيقة ما جرى، ولا أأتمنه على سرّي كي لا يبوح به لأبي. أقسم بأني لن أترك خيانته هذه بدون عقاب.

أوكْتاف : يا عزيزي اسكابان، كم أنا مدين لك بأفضالك عليّ. انت فعلاً رجل وفيّ وتستحق كل الاعجاب والتقدير. فقد ارسلتْك العناية الالهية لمساعدتي.

ليائْدر : ها أنت قد جئت في الوقت الملائم، وانا مسرور جداً بمشاهدتك، أيها السيد الدجال.

إسْكابان : يكفيني شرفاً ان أكون خادمك الأمين المطيع، يا سيدي المفضال.

ليائْدر (يستلّ سيفه) : ما لي اراك تظهر لي لؤمك على هذا النحو ؟ سأعلّمك كيف ...

أوكْتاف (يقف بينهما، ويمنع لياندر من أن يضرب اسكابان) : ارجوك، يا لياندر.
ليانْدر : لا، لا. انا ارجوك أن لا تتدخّل في الأمر، يا اوكتاف، ولا تمنعني من تأديب هذا الخبيث.
إسْكابان (للياندر) : رحماك، يا سيدي.
أوكْتاف (للياندر) : ألْتمس منك أن تصغي اليّ.
ليانْدر (يهمّ بضرب اسكابان) : دعني اشفي غليلي بضرب هذا المحتال.
أوكْتاف : اكراماً لصداقتنا الحميمة، ارجوك أن لا تسيء معاملته.
ليانْدر (يهمّ بضرب اسكابان) : ألم تفعل ما يزعجني، يا محتال ؟
أوكْتاف (يمنعه من الضرب) : تمهّل، يا لياندر، إكراماً لي.
ليانْدر : أُصرّ، يا اوكتاف، على ان يعترف لي الآن بما رواه لأبي من أقوال كان الأجدر به أن يدفنها في أعماق صدره. أجل، لقد فضحني لدى والدي وأطلعه على ما لا أريد أن يعلمه. وقد بلغني كل ما كشفه هذا الخائن لأبي من اسراري التي كنت احرص على أن لا يعرفها والدي. وأنا الحّ الآن على أن يقرّ هذا المنافق أمامي بكل ما أطلع عليه أبي. وإلّا اخترقت بسيفي هذا صدره النجس.
إسْكابان : وهل تسمح لك طيبة قلبك بمثل هذا العمل الفظيع.
ليانْدر : تكلّم اذاً.
إسْكابان : هل لحقك. يا سيدي، بسببي أنا أيّ أذى ؟
ليانْدر : أجل، أيها الخبيث الخسيس. ولا بد لضميرك من أن يوبخك على ما فعلت، إن كان لك من ضمير.
إسْكابان : أؤكد لك، يا سيدي، أني لا أعلم بما أزعجك من أقوالي أو أفعالي.
ليانْدر (يتقدم ليضربه) : أتدّعي انك لا تعلم ؟ ...
أرْكانْت (يمنعه) : تبصّر في الأمر، يا لياندر.
إسْكابان : بما أنك تصرّ، فأنا أعترف لك بأني شربت بصحبة بعض رفاقي قليلاً من الخمرة الاسبانية التي قدّم لك منها برميلاً بعض اصدقائك منذ بضعة أيام، وقد أفرغت قليلاً منه، ثم سكبت على الأرض ماءً لأوهمك أن الخمرة قد تسرّبت من البرميل.

ليائلدر : انت اذاً شربت من الخمرة الاسبانية، وسبّبت توبيخي الخاد
أتهمتها بالسرقة.

إسْكابان : نعم، يا سيدي. انا آسف، وأرجوك أن تسامحني.

ليائلدر : انا مرتاح الى اقرارك هذا الذي يبرّئ ساحة الخادمة. لكن ال
التي أريد محاسبتك عليها تتعلّق بقضية اخرى.

إسْكابان : هل هناك قضية أخرى ؟

ليائلدر : نعم، وهي تهمّني وتضايقني اكثر من التي اعترفتَ لي بها ا

إسْكابان : يا سيدي، أنا لا أتذكّر بأني أقدمت على عمل آخر غير

ليائلدر (يهمّ بضربه) : ألا تريد أن تتكلم ؟ هل عدت الى الإنكار ؟

إسْكابان : انكار ماذا ؟

أوكْتاف (يمنعه) : مهلاً، مهلاً.

إسْكابان : نعم، يا سيدي، ها أنا أعترف : من مدة ثلاثة اسابيع ارسلتن
مساءً لأوصل ساعة صغيرة الى الصبية المصرية التي تحبّها. وحال رجو
البيت، والوحل يكسو ثيابي، والدم يلطّخ وجهي، أعلمتك بأن لصوصاً
عليّ وضربوني وسرقوا مني الساعة. بينما كنت أنا قد خبّأتها.

ليائلدر : انت خبّأت ساعتي ؟

إسْكابان : نعم، يا سيدي، لكي أعرف الوقت بواسطتها.

ليائلدر : ها أنا أطّلع في هذه اللحظة على خباثة جديدة قمت بها ايضاً،
بأن خادمي غير أمين. ولكن هذا كذلك ليس ما اطلبه منك بالضبط

إسْكابان : ليس هذا ؟

ليائلدر : كلا، أيها اللص الدجّال. هناك أمر أهمّ بكثير أريد منك أن تعتر
به.

إسْكابان (على حدة) : ويحي، وتبّاً لي من شقي تعيس.

ليائلدر : تكلم حالاً. فأنا مستعجل لمعرفة ما فعلت تماماً بالتفصيل.

إسْكابان : هذا كل ما فعلته أنا، يا سيدي.

ليائلدر (يهمّ بضرب اسكابان) : أهذا كل ما فعلته، يا لعين.

أوكْتاف (يحول دون ضرب اسكابان) : ارجوك ...

إسْكابان : ها أنا اتكلّم. هل تذكر، يا مولاي، انك تلقّيْتَ عدة ضربات من شبح اثناء الليل، وكدت تسقط على الأرض وتفكّ عنقك، في المغارة عندما هممتَ بالهرب في الظلام ؟

ليائلدر : ماذا تقصد ؟

إسْكابان : هذا الشبح هو أنا، يا سيدي.

ليائلدر : انت أيضاً صاحب هذه الخباثة المزعجة ؟

إسْكابان : نعم، يا سيدي، أنا. لكني كنت اقصد أن أخيفك فقط، لأمنعك من الركض كل ليلة كما اعتدت أن تفعل.

ليائلدر : لن أنسى ما سمعته الآن منك من الخباثات. ومن ضروب الاحتيال والأذى. لكني أرغب بإلْحاح في أن تعترف لي بما بُحْتَ به عني لأبي.

إسْكابان : لأبيك ؟

ليائلدر : نعم، نعم، لأبي.

إسْكابان : لكني لم أشاهده بعد عودته.

ليائلدر : هل تُنكر أنك شاهدته ؟

إسْكابان : كلا، يا سيدي، لم أشاهده.

ليائلدر : هل أنت واثق بما تدّعي ؟

إسْكابان : طبعاً، طبعاً، يا سيدي. ويمكنك أن تسأل والدك الذي سيؤكّد لك صدق كلامي.

ليائلدر : لكنه هو بذاته أعلمني بأنك بُحْتَ له بما يعرف عني، أيها الكذاب المنافق.

إسْكابان : اسمح لي، يا سيدي، بأن أؤكد لك بكل بساطة أنه لم يقل لك الحقيقة.

المشهد الرابع

كارل، واسكابان، وليانذر، واوكتاف.

كارْل : يؤسفني أن آتيك بخبر غير سارّ عن حبيبتك، يا سيدي.

ليانْدر : وما هو ؟

كارْل : المصريون على وشك أن يسلبوك حبيبتك زربينات التي كلّفتني، والدمع يملأ عينيها، بأن اقول لك حرفيّاً : إن لم تبادر الى الدفع لهم خلال مهلة ساعتين فقط، مبلغ المال الذي طلبوه منك للافراج عنها ستفقدها الى الأبد.

ليانْدر : خلال ساعتين ؟

كارْل : نعم ساعتين فقط.

ليانْدر : آه، يا صاحبي اسكابان، كم أنا بحاجة في هذه اللحظة الى مساعدتك القيّمة.

إسْكابان (يمرّ امامه وهو يختال متشامخاً) : « آه، يا صاحبي اسكابان »، الآن اصبحت صاحبك اسكابان ؟ حين احتجت الى مساعدتي.

ليانْدر : هيا، أنا اسامحكَ بكل ما بُحْتَ لي به منذ هنيهة عمّا فعلته معي من مزعجات ومضايقات.

إسْكابان : لا، لا. لا تسامحني بتاتاً، بل اخترقْ صدري بسيفك البرّاق، فأكون أول المبتهجين اذا قتلتني وأرحتني من هذه الحياة.

ليانْدر : انت عزيز على قلبي يا اسكابان. فأرجوك أن تستعمل عبقريتك المبدعة التي لا تعجز عن إيجاد الحلّ اللازم لجميع المشاكل.

إسْكابان : لا، أقول لك : هيّا اقتلني وانقذني من هموم الدنيا. فذلك أولى بي.

أوكْتاف : يا اسكابان، لا بدّ لك من أن تساعد سيدك صاحب الافضال العديدة عليك.

إسْكابان : بعد كل الاهانات واللعنات التي صبّها على رأسي أنا المسكين.

ليانْدر : اتوسّل اليك أن تنسى ما قلته لك، وأن تسعفني بمهارتك وبراعة حيلك.

أوكْتاف : وأنا أضمّ رجائي الى توسّله.
إسْكابان : هناك إساءة لن أغفرها له ما حييت.
أوكْتاف : لا بد من كتم غيظك الآن.
ليائْدر : هل يهون عليك ان تتخلّى عني، يا إسكابان، وانا في أمسّ الحاجة إليك لانقاذ حبيبتي.
إسْكابان : لقد وصفتني بالمحتال، والدجال، والمنافق، والغبي، والصعلوك.
ليائْدر : حقاً، أنا آسف كل الأسف، يا صاحبي.
إسْكابان : وكنت مزمعاً ان تخترق صدري بسيفك القاتل.
ليائْدر : ألتمس منك الصفح والغفران من كل قلبي. وإذا اقتضى الأمر أن أجثو على ركبتيّ أمامك متوسّلاً، لن أتأخّر، يا اسكابان. أؤكد لك اني لن أتخلّى عنك طوال ايام حياتي.
أوكْتاف : كفاك، يا اسكابان، تمنّعاً وتشامخاً، أمام سيدك وولي نعمتك.
إسْكابان : إنهض إذاً، ولا تكن في المرة القادمة سريع الغضب والمهاترة عليّ.
ليائْدر : هل تعدني وعداً قاطعاً بأن تعمل على مساعدتي.
إسْكابان : دعني أفكّر في الأمر.
ليائْدر : لكن لا تنسَ ان الوقت يداهمنا ويمرّ بسرعة.
إسْكابان : لا يقلق لك بال. كم هو المبلغ الذي تحتاج اليه ؟
ليائْدر : خمسمئة فرنك.
إسْكابان (لاوكتاف) : وانت ؟
أوكْتاف : مئتا فرنك.
إسْكابان : سأسحب هذين المبلغين من والديكما (لأوكتاف) امّا في ما يتعلّق بك، فقد وجدت الوسيلة والعلاج الناجع. (لليائدر) : وفي ما يخصك أنت، مهما كان أبوك شديد البخل، أحتاج أنا معه الى عناء أقلّ. ومهما كان سريع الخاطر، فإنه يفتقر تجاهي الى كثير من الفطنة، ويمكنني اقناعه بقبول أيّ حلّ يناسبنا. أشكر المولى على أن لا وجود لأيّ شبه بينك وبينه. وبما أني أرى الآن والد أوكتاف مقبلاً، فلأبدأ به ما دام هو نفسه يأتي الينا. هيّا ابتعدا كلاكما عن هذا المكان. (لأوكتاف) : وأنت أوْعِز الى صاحبك سلفاستر بأن يأتي ليقوم بدوره في لعبتنا البارعة.

المشهد الخامس

اركانت واسكابان

إسْكابان (على حدة) : ها هوذا يتمتم ببعض كلمات.
أرْكانْت (يظن نفسه وحده) : مهما شذّ سلوكه وقلّ وقاره، لا يجمل به أن يرمي بنفسه في تهلكة كهذه. آه من طيش الشباب.
إسْكابان : أنا خادمك الأمين، يا سيدي، أنتظر أوامرك.
أرْكانْت : نهارك سعيد، يا اسكابان.
إسْكابان : أما زلتَ تفكّر في قضية ولدك ؟
أرْكانْت : لا أخفي عنك أن مشكلته تقلق فكري وتقضّ مضجعي.
إسْكابان : الحياة، يا سيدي، حافلة بالهموم والمفاجآت المزعجة. وعلى المرء أن يظلّ متيقّظاً على الدوام. فقد سمعت منذ زمن طويل كلمة حكيمة من فم شيخ جليل لفتت إنتباهي وحرصتُ على حفظها لانطباقها تماماً على الواقع.
أرْكانْت : وما هي ؟
إسْكابان : « مهما كان غياب رب الأسرة عن ذويه قصيراً، لا بد له من الحذر والانتباه الى كل مباغتة غير سارّة يمكن أن تعترض سبيله عند عودته ». فلا يُستبعد ان يحترق بيته أو أن يُصيب الشلل ابنه، وعليه أن يتحسّب لكل ما لم يحلّ به بعد، وأن يواجهه بالتبصّر والصبر الجميل. أنا من جهتي قد وضعت هذه القاعدة نصب عينيّ، وجابهت الصعوبات والشدائد بفلسفة وحنكة. ولم أعد الى بيتي إلا وقد حسبت كل الحسابات لتلافي غضب سادتي مثلاً، وتحمّل تنديداتهم واهاناتهم وركل اقدامهم وضرب قضبانهم وسياطهم، وما يخطر ببالهم من اصناف الإحتقار والإذلال كعقاب عند اللزوم. ولقد حمدت الله على ما يخبّئه لي نصيبي من مصير.
أرْكانْت : هذا قول جميل. لكن الزواج الذي باغتني به ابني آلمني وأدمى فؤادي. وقد استشرت بعض المحامين لدرس امكانات فسخه وإبطال مفعول عَقْده.
إسْكابان : صدّقني، يا سيدي، إن قلت لك إنّ هناك حلّاً لكل معضلة. ولا بد

من أن تستريح من قلقك واضطرابك، كما يتسنى لكل أب أحزنه عصيان ابنه الذي لم يتصرّف حسب رأيه ورضاه.

أرْكانْت : انا لك سلفاً من الشاكرين.

إسْكابان : لذا ذهبت لمقابلة شقيق العروس التي تزوّجها، وهو شاب شهم، يُعْتَمد على استقامته في الشدائد والملمّات، لا يسمح له وجدانه بالقتل كمن يشرب جرعة من الخمرة. ولقد حذّرته من مغبّة هذا الزواج غير الملائم، ونبّهته الى امكان فسخه وإبطاله ولو بالقوة والعنف. لأن والد العريس غير راضٍ، وطبعاً يسانده القانون والحق والمنطق السليم والمال والاصدقاء. أخيراً درست المسألة من كافة وجوهها وأصغيت الى جميع الاعتراضات والاقتراحات والتفسيرات، واقنعته بتسوية الوضع لقاء مبلغ من المال. وفهمت منه أخيراً أنه يوافق على فسخ الزواج، اذا قبلتَ بمنحه بعض الترضيات.

أرْكانْت : وكم طلب منك ؟

إسْكابان : أوّلاً فرض ما لا سبيل الى القبول به، مهما كان الأمر.

أرْكانْت : ثم ماذا ؟

إسْكابان : طالب بأمور غير معقولة.

أرْكانْت : وماذا بعد ؟

إسْكابان : لم يأتِ على ذكر مبلغ أقلّ من خمسمئة او ستمئة فرنك.

أرْكانْت : خمسمئة أو ستمئة فرنك ؟ وهو لا يستحقّ سوى خمسمئة أو ستمئة لعنة. هل تراه يسخر بالقيم والاشخاص ؟

إسْكابان : هذا ما أجبته به، وقد رفضت مثل هذه التلميحات. وبيّنت له أنك لست غبياً لتدفع له خمسمئة أو ستمئة فرنك. أخيراً بعد عدّة محاولات ومفاوضات طويلة أبلغته أن زمن الالتحاق بالجيش قد حان. وأنا على وشك أن أنجز تجهيز نفسي لذلك، وأن حاجتي الى المال تحثني على وجوب الاكتفاء بهذا الغرض. لذا يلزمني حصان خدمة، ولن أحصل عليه بحالة مقبولة إلّا لقاء ستّين فرنكاً.

أرْكانْت : لقاء ستين فرنكاً أنا أعطيك اياه.

إسْكابان : بالمناسبة، احتاج الى عِنان لقيادة الحصان، وكذلك الى غدّارات وسعرها عشرين فرنكاً.

أزْكانْت : فيكون المجموع ثمانين فرنكاً، وهذا كثير.

إسْكابان : نعم، هذا هو المجمل بالكمال والتمام.

أزْكانْت : ومع أنه باهظ، أنا أوافق عليه.

إسْكابان : وأحتاج أيضاً الى حصان ليركبه خادمي الذي سيكلفني ثلاثين فرنكاً.

أزْكانْت : ماذا تقول ؟ يتحتّم عليك أن تستغني عنه.

إسْكابان : كيف أقنعه بذلك ؟

أزْكانْت : لا، لا. أنا لن ارضى بذلك، لأن خادمك يغالي في طلبه.

إسْكابان : هل تريد أن يسير خادمي على قدميه ؟

أزْكانْت : يمكنه أن يمشي كما يحلو له، وكذلك سيده أيضاً.

إسْكابان : يا الهي. لا تعسِّر الأمور، يا رجل، ولا تهتمّ بالمسائل الطفيفة ارجوك أن لا تتشبّث بتفاهات كي تنجو من يد العدالة.

أزْكانْت : لا، لا. ليذهب الى الجحيم هو والبغل الذي يطلبه. فقد أصبح مطلبه لا يُطاق. والأفضل أن يَمْثُل امام القضاء.

إسْكابان : ارجوك، يا سيدي ...

أزْكانْت : لا، لا. لن أقبل بأية زيادة بعد كل ما تساهلت ورضيت به.

إسْكابان : يا سيدي، لم يبقَ إلّا ان توافق على هذا البغل الصغير.

أزْكانْت : لن أعطيه حتى ولا حماراً.

إسْكابان : لا بدّ اذاً ...

أزْكانْت : كلا ثم كلا. انا أفضّل ان ادافع عن قضيتي امام المحكمة.

إسْكابان : ما هذا الكلام، يا سيدي. ماذا قرّرت ان تفعل ؟ لا يغرب عن بالك ما في مواجهة المحاكم من عراقيل. هناك البداية والاستئناف ثم التمييز، وما يرافقها من محاضر وتدقيقات وضمانات وإجراءات معقّدة، ومن مباشرين وكُتّاب وقضاة وشرطيّين ومحقّقين ومحامين. ومع كل ذلك لا تَنْسَ ان دون حصولك على حقوقك صعوباتٍ شتى. هذا اذا تيسّر لك ان تصل اليها بعد

تذليلك كل العراقيل. وهناك عند تبليغ الدعاوى والأحكام كم من تجاوزات وتمويهات وتزويرات، وحين تنقضي المدة القانونية، ينقلب الحق الذي يكون معك الى حقّ يجور عليك ويظلمك. فتدفع تكاليف اعادة الكرّة، حين لا تتمّ الاجراءات حسب الانظمة السارية المفعول. وفضلاً عن كل ذلك يجمل بك أن لا تُغفل الرشوات المتفشّية بين سائر فئات رجال العدل من كبيرهم الى صغيرهم، لأنهم لا يترفّعون عن قبض الاكراميات لتحوير القوانين وتعديل الاحكام من صالحك الى اصدراها لصالح خصمك، فتنقلب الآية ويضيع حقك وتذهب ضحية الفوضى وسوء النيّة التي لن يمكنك أن تتخلص من اذاها ولو هربت الى اقاصي بلاد الهند وأبعد اطراف الدنيا.

أزكانْت : بالاختصار كم هو ثمن البغل المرغوب ؟

إسْكابان : يا سيدي، لأجل البغل والحصان للسيد وخادمه، ولأجل العنان والغدّارات، ولتقديم هدايا لمضيفته، يحتاج ايضاً الى مئتي فرنك.

أزكانْت : مئتي فرنك ايضاً ؟

إسْكابان : نعم، يا سيدي.

أزكانْت (يتمشّى بغضب طولاً وعرضاً على خشبة المسرح) : لا، لا. أفضّل أن الجأ الى المحكمة.

إسْكابان : ارجوك أن تفكّر جدّيّاً بكل ما يقتضيه رفع قضيتك الى المحاكم من مصاريف باهظة وتكاليف مضاعفة.

أزكانْت : لا تُلْقِ بنفسك الى ...

أزكانْت : كلا، ثم كلا ... أفضّل المحكمة.

إسْكابان : لكن المحاكمة، كما بيّنت لك تقتضي اموالاً وافرة. فهناك دفع التأمين ثم تكبُّد رسوم التدقيق واكلاف النيابة العامة ومصاريف الاستنابة والجلسات ويوميات التحقيق، تضاف اليها تكاليف الاستشارات والمرافعات والكتابات، وما تضطر الى دفعه لاصدار الاحكام وتسجيل القرارات والزيادات والمراجعات والتوقيعات والتبليغات الى ما هنالك من واجبات وجبايات اخرى. وكل ذلك يحتاج الى دفع الأموال بدون حساب، اذا تمسّكت باصرارك على رفع الدعوى الى المحاكم. فالافضل اذاً كما ترى، أن تدفع القليل الى هذا الرجل بدلاً من أن تتورط في بذْل الكثير ...

أرْكانْت : لكن، كيف يطلب مئتي فرنك ؟
إسْكابان : نعم، وتكون أنت الرابح الأكبر. لقد أجريت حساباً وجيزاً لكل التكاليف التي تتطلّبها العدالة، ووجدت ان مئتي فرنك تدفعها لهذا الرجل، تظل ارخص من مصاريف المحكمة الباهظة وتوابعها. وهكذا توفّر مزيداً من المال والتعب والقلق. وتتجنّب مشاكل المحاكمة وحماقات رجالها ولؤم المحامين ونفاقهم وكذب المباشرين وتأجيلاتهم. وأنا شخصياً أفضّل ان ادفع له ثلاثمئة فرنك على أن لا أعلق بحبائل المحاكمات وموجباتها.
أرْكانْت : انا لا تهمني خزعبلاتهم، واتحدّى المحامين الذين لن يكون لهم أي شأن معي.
إسْكابان : انت حرّ في قرارك النهائي وتفضيلك الوسيلة التي تؤمّن بواسطتها حقوقك الشرعية. غير أني لو كنت مكانك لتحاشيت اللجوء الى المحكمة.
أرْكانْت : لن أدفع له مئتي فرنك مهما كان الحال.
إسْكابان : ها هوذا الرجل، الذي حدثتك عنه، قد أتى.

المشهد السادس

سيلفاستر، واركانت، واسكابان

سيلْفاسْترْ (متنكّراً بهيئة شقي رهيب) : يا اسكابان، عرّفني الى السيد اركانت والد اوكتاف.
إسْكابان : لماذا، يا سيدي ؟
سيلْفاسْترْ : علمت منذ لحظة أنه يريد أن يقاضيني امام المحكمة ليفسخ زواج شقيقتي.
إسْكابان : انا أجهل اذا كان يفكّر بذلك. لكنه لا يقبل أن يدفع مبلغ مئتي فرنك حسب طلبك، ويؤكّد انه باهظ.
سيلْفاسْترْ : بحق هذا النهار، وحياة رأسي ورأسه، اذا أبصرته سأنغّص عليه

عيشه، ولو كلّفني ذلك ضرباً مبّرحاً. (يختبئ أركانت خائفاً وراء اسكابان كي لا يراه سيلفاستر المتنكّر).

إسْكابان : يا سيدي، إعلمْ، أن والد اوكتاف رجل شجاع لا يهاب احداً.

سيلْفاسْترْ : هو شجاع ؟ بحياة رأسي لو كان حاضراً ها هنا، لبقرت له بطنه بحد هذا السيف، ودلقت أمعاءه. (يلمح اركانت) من هو هذا الرجل ؟

إسْكابان : ليس هو، يا سيدي، ليس هو، بالتأكيد.

سيلْفاسْترْ : أوليس احد أصدقائه ؟

إسْكابان : لا، يا سيدي. بل هو من ألدّ أعدائه.

سيلْفاسْترْ : من ألدّ أعدائه ؟

إسْكابان : نعم.

سيلْفاسْترْ : الآن هدأ بالي وغمر السرور قلبي. (لأركانت) هل حقاً انت من أعداء الدجّال المدعو أركانت ؟

إسْكابان : نعم. قلت لك، نعم، من أعدائه.

سيلْفاسْترْ (يهزّ يد أركانت) : ضع يدك في يدي. أعدك وأقسم لك بشرفي، وبالسيف الذي أحمله، وبأغلظ الايمان التي يشملها حلفاني، بأني قبل نهاية هذا النهار سأحطّم رأس هذا المحتال المدعو اركانت. إتّكل علي في تنفيذ تهديدي هذا.

إسْكابان : لا تنسَ، يا سيدي ان وسائل العنف لا تنقص في هذا البلد العجيب الغريب.

سيلْفاسْترْ : انا لا يهمني أحد، وأزدري بكل الناس وبكافة الوسائل، لأني لا أخشى أية خسارة.

إسْكابان : سيظلّ بالطبع متمنّعاً لأن له عدداً من الأهل والأصحاب والخدم. ولا يريد أن يفقد أيّاً منهم.

سيلْفاسْترْ : هذا ما أرجوه وأتمنّاه. (يستلّ سيفه وينظر الى جميع الجهات، كأن امامه العديد من الأشخاص) : ليتني ألتقي في هذه اللحظة ببعضهم لكي أقضي عليهم بأجمعهم. ولكن كيفَ أعرفهم بين ثلاثين شخصاً. وهل يمكنهم أن يهاجموني بأسلحتهم ؟ حتماً سأقلتهم. اين هم ؟ ليتقدموا نحوي. (يجيل بصره

في كل الجهات كأنه سيقاتل العديد من الرجال) هيّا ليبرز أحدهّم على الأقلّ، وليتقدّم نحوي، إن كانت له الجرأة على القتال. يا لهم من جبناء، سأقطع رؤوسهم وأوصالهم جميعاً بدون استثناء. هيّا، اين هم هؤلاء الصعاليك ؟ (يلتفت الى كل الجهات). أين انتم ايها الجبناء ؟ ما لكم تتوارون ايها الاقزام الضعفاء ؟

إسْكابان : يا سيدي، لم يصل الأمر بأي انسان الى حدّ مهاجمتك.

سيلْفاسْتِرْ : لن يجرؤ أحد على الوقوف في وجهي، وإلّا حطمت رأسه تحطيماً. (يبتعد).

إسْكابان : هل ادركت كم شخصاً من الممكن أن يُقتلوا لقاء مئتي فرنك ؟ أتمنّى لك حظّاً سعيداً.

أرْكانْت (يرتجف خوفاً) : يا إسكابان.

إسْكابان : انا في خدمتك.

أرْكانْت : لن أتأخّر عن دفع المئتي فرنك.

إسْكابان : يسرني أن أسمع منك هذا أخيراً. فقد انقذت حياتك بهذا التروّي والتبصّر.

أرْكانْت : هيّا بنا نذهب اليه، وندفع له المبلغ لأنه في حوزتي.

إسْكابان : يمكنك أن تسلّمني اياه. اذ ليس من صالحك ان تظهر أمامه بصفتك اركانت، بعد النكران والتأكيد له انك شخص آخر. وأخشى إنْ عرفك أنْ يطلب منك مزيداً من المال.

أرْكانْت : لكني اكون مرتاح البال اكثر، إن شاهدته كيف يقبض هذا المبلغ.

إسْكابان : ألّا تؤمّنني على مالك ؟

أرْكانْت : لا لست أقصد ذلك. ولكن ...

إسْكابان : إمّا أن أكون محتالاً خبيثاً، يا سيدي، وإمّا شريفاً اميناً، كما تقول. فهل يسعني أن أخدعك في هذه القضية، وأنا لا مصلحة لي سوى تحقيق رغبتك، يا سيدي، وبكل اخلاص أريد أن اساعدك. فإن كنت تشكّ بأمانتي، فلن أتدخّل في شأن لا ناقة لي فيه ولا جمل، وعليك أن تبحث منذ هذه اللحظة عمّن يرعى مصالحك.

أزْكانْت : هيّا، خذ هذا المبلغ، واجتهد ان تتّخذ جميع الاحتياطات حياله.
إسْكابان : دعني اتصرف. فأنا كما تعرفني جيداً، لست بغبيّ احمق.
أزْكانْت : سأنتظرك في بيتي لأعرف نتيجة مسعاك.
إسْكابان : سأوافيك حتماً بأقرب وقت. (وحده) من الرجل الأوّل، سأنتقل الى معالجة الثاني. ها هو آت، على ما أرى، وقد تواردا اليّ الواحد تلو الآخر كي يعلقا في شباكي.

المشهد السابع

جيرونت، وإسكابان.

إسْكابان (يتظاهر بأنه لا يرى جيرونت) : ايتها السماء، إحْمِني من الخيبة المرّة غير المنتظرة. يا له من أب مسكين. اسفي عليك، يا سيدي. جيرونت، ماذا تفعل ؟
جيرونْت (على حدة) : ماذا يقول عني هذا الخدّاع، ووجهه متجّهم هكذا ؟
إسْكابان (وهو يقوم باللعبة ذاتها) : من يمكنه أن يدلّني اين أجد الآن السيد جيرونت ؟
جيرونْت :. ماذا في الأمر، يا اسكابان ؟
إسْكابان (يركض على المسرح بدون ان يسمع أو يبصر جيرونت) : اين يسعني أن ألاقيه لأبلغه هذه الخيبة المؤلمة ؟
جيرونْت (يسرع نحو اسكابان) : ماذا جرى ؟ أخبرني.
إسْكابان (يواصل اللعبة ذاتها) : لقد بحثت في كل النواحي بدون أن أعثر عليه.
جيرونْت : ها أناذا.
إسْكابان (يوقف اسكابان) : هيّا قِفْ. هل أنت مصاب بالعمى كي لا تبصرني ؟
إسْكابان : يا سيدي ؟ لم يسعدني الحظ بأن ألاقيك.

جيرونت : منذ نصف ساعة، وأنا أمام عينيك. ماذا جرى لك ؟
إسْكابان : سيدي.
جيرونت : ماذا جرى ؟
إسْكابان : سيدي، ابنك ...
جيرونت : ما به ؟
إسْكابان : فاجأته خيبة أمل غريبة عجيبة.
جيرونت : وما هي ؟
إسْكابان : لقد أبصرته منذ هنيهة حزيناً، ولا أدري ما قلت انت له. حاولت أن أبدّد عنه قلقه، فرافقته في نزهة الى المرفأ. هناك أبصرنا سفينة تركية على أهبة الإبحار. فدعانا شاب تركي حسن الهندام كي ننزل الى المركب، ومدّ الينا يده مصافحاً، واستقبلنا بكل ترحيب واكرام، وقدّم لنا لقمة أكل طيّبة وفواكه لذيذة، وقليلاً من الخمرة، لم نذق أجود منها من قبل.
جيرونت : وماذا يشغل البال في هذه المعاملة الحسنة ؟
إسْكابان : إنتظر، يا سيدي، سأعلمك بكل ما جرى. بينما نحن نتناول الطعام ابتعدت السفينة عن الشاطئ. فما لبث الشاب التركي ان اصعدني الى زورق نجاة، وأرسلني على جناح السرعة لأبلغك بأنه، ما لم ترسل له بصحبتي خمسمئة فرنك، سيأخذ إبنك معه الى الجزائر.
جيرونت : كيف يفرض علي دفع خمسمئة فرنك ؟
إسْكابان : نعم، يا سيدي. وفضلاً عن ذلك حدّد لي مهلة ساعتين لتنفيذ طلبه.
جيرونت : تبّاً لهذا التركي الخسيس. إنه لص مجرم يهدّدني بهذه الطريقة الوضيعة.
إسْكابان : عليك أنت، يا سيدي، ان تجد طريقة مناسبة لإنقاذ ولدك من عبودية الذل، وتجنيبه القهر والعذاب، نظراً الى ما تحيطه به من الحب والحنوّ.
جيرونت : ولماذا نزل الى هذه السفينة اللعينة ؟
إسْكابان : لم يفكّر بما قد يباغته من مساوئ.
جيرونت : إذهب الى هذا التركي وقلْ له اني سأرسل رجال العدالة للاقتصاص منه على غدره الدنيء.

إسْكابان : وما عسى ان تفعل العدالة فوق امواج البحر ؟ هل تسخر أنت من الناس بقولك هذا ؟

جيرونْت : لا افهم ماذا دعاه للنزول الى هذا المركب الجهنّمي ؟

إسْكابان : مصيره البائس حمله على الوقوع فيي هذه الورطة.

جيرونْت : يجب عليك، يا اسكابان، نعم يجب عليك أن تبذل قصارى جهدك بصفتك خادمي الأمين لانقاذ ولدي.

إسْكابان : ماذا تطلب مني، يا سيدي ؟

جيرونْت : ان تذهب وتقول لهذا التركي أن يردّ لي ولدي. واذا اقتضى الأمر، أن يأخذك بدلاً عنه رهينةً الى أن أجمع المال المفروض، وارسله اليه.

إسْكابان : هل فكّرت في كلامك هذا، يا سيدي ؟ وهل تظنّ أن هذا الشاب التركي أبله الى حدّ أن يستبدل ابنك بخادم معدم بائس مثلي ؟

جيرونْت : آه، لا أفهم لماذا نزل ابني الى هذه السفينة ؟

إسْكابان : لم يخطر بباله أن تنتابه هذه المصيبة. تصوّر، يا سيدي، ان المهلة لا تتجاوز الساعتين فقط.

جيرونْت : قلت لي انه يفرض ...

إسْكابان : خمسمئة فرنك عدّاً ونقداً.

جيرونْت : خمسمئة فرنك ؟ أوليس له من ضمير ؟

إسْكابان : أجل، ليس له أي ضمير. وهل تظن أن لمثل هذا التركي من ضمير ؟

جيرونْت : وهل يعرف ما هي قيمة الفرنكات الخمسمئة التي يطلبها ؟

إسْكابان : نعم، يا سيدي. هو يعرف انها خمسمئة فرنك.

جيرونْت : وهل يظنّ هذا السارق المحتال أن خمسمئة فرنك مبلغ زهيد جاهز حاليّاً في جيبي ؟

إسْكابان : انه نصّاب لا يدرك أي منطق.

جيرونْت : أنا لا أفهم لماذا نزل ولدي الى هذه السفينة الشيطانية.

إسْكابان : هذا صحيح. لكن، لا يغربْ عن بالك ان الانسان لا يسعه أن يتوقّع ما سيحدث له في مستقبل الايام. أرجوك، يا سيدي، أن تعجّل في دفع المبلغ.

جيرونْت : هذا مفتاح خزانتي.

إسْكابان : حسن.

جيرونْت : إذهب وافتحها.

إسْكابان : طيّب.

جيرونْت : وستجد مفتاحاً اكبر منه في جهة اليسار، وهو مفتاح مخزني.

إسْكابان : نعم.

جيرونْت : هيا إذهبْ وخذْ جميع الملابس الموجودة في السلّة الواسعة وبعْها في السوق القريب، ثم اسرع واجلبْ لي ولدي.

إسْكابان (وهو يردّ له المفتاح) : هل تحلم، يا سيدي ؟ لن أجمع مئة فرنك من بيع كل الملابس المستعملة التي تشير اليها. ثم، أنت تعلم مدى ضيق الوقت المحدَّد لنا.

جيرونْت : آه، ثم آه. لا أفهم لماذا نزل إبني الى هذا المركب اللعين.

إسْكابان : انت تضيع الوقت هكذا سدىً. إنسَ السفينة، وفكّر في الوقت القصير الذي يمرّ مسرعاً. نحن نغامر بحياة ولدك. ويؤسفني، يا سيدي، أن أصارحك بأني لست على يقين مطلقاً بأن اراك بعد الآن على قيد الحياة. ربما في هذه الأثناء اختُطِفْتَ انت ايضاً واقتُدْتَ الى الجزائر. ولكن، يشهد الله على صدق كلامي، اني فعلت في سبيلك كل ما بوسعي. واذا داهمنا الوقت وافترق احدنا عن الآخر، لا سمح الله، يعزّ عليّ أن تُتهَم لدى حلول هذه الكارثة، بقلة إهتمامك بابنك.

جيرونْت : انتظرْ، يا اسكابان، فأنا ذاهب لجمع هذا المبلغ.

إسْكابان : عجّل ما استطعت، يا سيدي، فأنا أرتجف قلقاً وفزعاً من ان تنتهي المهلة ويفوت الأوان ونخسر ولدك.

جيرونْت : أليس المبلغ أربعمئة فرنك، كما قلتَ لي ؟

إسْكابان : كلّا، يا سيدي، المبلغ خمسمئة فرنك بالتمام والكمال.

جيرونْت : خمسمئة فرنك ؟

إسْكابان : نعم، نعم.

جيرونْت : آه، أنا لا أفهم لماذا نزل إبني إلى هذا المركب الجهنّمي.

إسْكابان : الحق الى جانبك. لكن عليك الآن أن تستعجل.
جيرونْت : أولم يكن هناك مكان آخر يقصده ولدي للتنزّه ؟
إسْكابان : هذا صحيح. ولكن، العجلة العجلة. فالوقت يمرّ بسرعة.
جيرونْت : يا له من مركب لعين.
إسْكابان (على حدة) : هذه السفينة تسيطر على كل تفكيره.
جيرونْت : خذْ، يا اسكابان. لم أتذكّر قبل هذه اللحظة أني قبضت هذا المبلغ، ولم أتصوّر انه سيُنتَزَع مني بهذه السرعة المذهلة (يقدّم له محفظته التي لم يتركها من يده، بل راح ينقلها من يد الى الأخرى، واسكابان يمدّ يده ويحاول ان يتناولها منه) : هيّا، خذْها، واذهبْ واشترِ حياة ولدي.
إسْكابان (يمدّ يده) : نعم، هاتِ، يا سيدي.
جيرونْت (يتمسّك بالمحفظة التي يتظاهر بأنه يريد أن يعطيها اسكابان) : لكن، قلْ لهذا التركي المحتال إنه لصّ دنيء.
إسْكابان : أجل.
جيرونْت : (يواصل لعبته ذاتها) : وإنه سارق دجّال.
إسْكابان : نعم.
جيرونْت (يواصل لعبته ذاتها) : وإنه مجرم فاقد الضمير.
إسْكابان : دعني اتصرف.
جيرونْت (يواصل لعبته ذاتها) : وإنه يختلس مني خمسمئة فرنك بدون أيّ حياء.
إسْكابان : نعم، نعم.
جيرونْت (يواصل لعبته ذاتها) : وإنه لا يستحق أن يبقى على قيد الحياة، بل يتحتّم عليه أن يذوق كأس الموت الزؤام.
إسْكابان : حَسَن.
جيرونْت : وإني اذا أمسكتُ به، سأعرف كيف انتقم منه شر انتقام.
إسْكابان : نعم يا سيدي، نعم.
جيرونْت (يردّ محفظته الى جيبه، ويمضي) : أسرع، أسرع وانقذ ولدي.
إسْكابان (يجري وراءه) : أين أنت ذاهب، يا سيدي ؟

جيرونْت : ماذا تريد مني ؟
إسْكابان : اين المال الذي تنوي ان تعطيني اياه ؟
جيرونْت : ألم تستلمْه ؟
إسْكابان : لا، لا. حقاً، لا، يا سيدي. لقد أعدته الى جيبك.
جيرونْت : آه، طغى الهم والحزن على وعيي، فلم أعرف ماذا افعل.
إسْكابان : ارى ذلك في تصرّفك الغريب.
جيرونْت : لا أفهم الى الآن لماذا نزل إبني الى هذه السفينة اللعينة. تبّاً .لهذا التركي من لص مجرم. ليذهبْ الى أعماق الجحيم.
إسْكابان (وحده) : لم يهضم فكرة الفرنكات الخمسمئة التي أودّ أن انتزعها منه انتزاعاً. لكنني لن اكتفي بهذا المبلغ بل سأرغمه على دفع مبلغ آخر لقاء المأزق الذي زجّني فيه بسبب ولده.

المشهد الثامن

أوكتاف، ولياندر، واسكابان.

أُوكْتاف : هل نجحت، يا اسكابان، في تدبير الأمور لدى والدي ؟
ليانْدْر : وهل لديك وسيلة تنقذ انت بدورك حبيبتي من الورطة التي وقعت فيها.
إسْكابان (لأوكتاف) : هذه مئتا فرنك انتزعتها من ابيك.
أُوكْتاف : ما أبرعك في إدخال السرور على قلبي.
إسْكابان (للياندر) : اما أنت فلم استطع حتى الآن أن أفيدك بشكل ملموس.
ليانْدْر (يهمّ بالذهاب) : عليّ اذاً ان اقتلع شوكي بيدي. ليس لديّ من مال يكفيني لأعيش، وها هي زربينات قد اختُطِفَتْ مني.
إسْكابان : لا تقلق. مهلاً، إصبر قليلاً. لماذا تغسل يدك من حلٍّ قد أتوصّل اليه عمّا قريب.
ليانْدْر (يلتفت الى اسكابان) : هل تفكّر بما قد يحلّ بي.

إسْكابان : هدّئ روعك واطمئنّ. فإن حلّ معضلتك جاهز في جيبي.
ليانْدر (يعود) : حياتي بين يديك.
إسْكابان : لكن، شرط ان تثق بي ثقة عمياء. فأنا أنوي الانتقام لنفسي بهدوء من والدك المستبدّ لقاء الدور القذر الذي قام به حيالي.
ليانْدر : إفعل ما تشاء.
إسْكابان : هل تعدني وتحلف لي بشرفك ان لا تسخط عليّ ؟
ليانْدر : نعم أعدك.
إسْكابان : اذاً، خذ مبلغ الخمسمئة فرنك هذا، وتصرّف به كما يحلو لك.
ليانْدر : انا مسرع حالاً لفكّ أسر من يهواها قلبي.

الفصل الثالث

المشهد الأول

زربينات، وياسانت، واسكابان، وسيلفاستر

سيلْفاسْتِرْ : قرر اصحابك فيما بينهم أن يظلّوا مجتمعين، وأن ننفّذ نحن الأمر الذي أصدروه الينا.

ياسانْت (لزربينات) : هذا الأمر لا يعجبني. ويسرّني أن أتمتع برفقةٍ من هذا النوع، اذ يهمني أن تعمّ الصداقة بين الناس الذين نحبّهم، وان يظلّ الوفاق مخيّماً عليهم.

زرْبينات : انا أرحبّ بهذا الإقتراح، ولن أشجب اية صداقة جديدة تضاف الى سابقاتها.

إسْكابان : وحين يكون الحب مهيمناً على مختلف الفرقاء فأهلاً به ومرحباً.

زرْبينات : مجال المحبّة واسع جداً، وأنا لا أرفض المغامرة في رحابها والكرّ والفرّ في ربوعها باستمرار، مع أني لست من أهل الشجاعة والإقدام.

إسْكابان : بل أنتِ، على ما أرى، جريئة وحازمة تجاه سيدي في الوقت الحاضر. لكن التفاني الذي لم يتردّد في بذله لأجلك، لا بد من أن يحملك على استجابة أمانيه عاجلاً أو آجلاً.

زرْبينات : من طبعي أن لا أسارع الى الوثوق بأيّ كان، إلّا حين يتبيّن لي حسن نيته ونبل قصده. انا مرحة وأميل الى البهجة. لكني مع ذلك جدّيّة للغاية

في أمور معيّنة. وسيّدك يتوهّم اذا اعتقد أن دفْعَه الفِدْية عني يضمن له مسايرتي رغباته. فأنا لا يجتذبني المال كغيري، بل يأسرني الحب والوفاء، ويكفيني أن اقتنع بسموّ أخلاقه وصدق عواطفه نحوي حتى أخصّه بكل ولائي وعطفي.

إسْكابان : هذا تماماً هو مبدأه في الحياة. فإن مال اليك فدافعه الشرف والولاء. ولو لم يكن الصدق رائده لما كنت انا ساهمت في جمع شملكما.

زرْبينات : هذا ما أودّ أن أؤمن به، ولا سيما انك أنت تؤكّده لي. لأني غير مرتاحة الى نوايا ابيه الذي يعارض تحقيق مشروعنا.

إسْكابان : لا بدّ من ايجاد حلّ ملائم لهذه المشكلة.

ياسانْت (لزربينات) : تشابُه مصيرَيْنا عَمِل على توطيد الصداقة بيننا. لأننا كِلتَيْنا غارقتان في المأزق ذاته، وكلتَيْنا معرَّضَتان لمفاجآت غير مطمَئنة.

زرْبينات : انتِ على الأقلّ، وضعك أسلم منّي، لأنك على بيّنة من أمرك. وأهلك لا يعاكسون مشيئتك. لذا يمكنك أن تؤمّني سعادتك في الزواج حسب مرامك. بينما أنا، لا أجد حولي من يساندني في تحقيق أمنيّتي، وأضطرّ لأخذ جميع الاحتياطات حتى استطيع الصمود في وجه إرادة ابي الذي لا يهمه إلّا المال.

ياسانْت : على الأقلّ ليس في محيطك من يسعى الى تقويض ما بنيته من آمال على حبّ شاب تهوينه، ويجبرك على الاقتران برجل سواه يناسب اهدافه ولا تحبينه.

زرْبينات : ان تغيير مَيْل قلب الحبيب ليس بالأمر الذي أخشاه. فأنا واثقة نوعاً ما بإخلاص من أهواه، ولا يزعجني في وضعي إلّا تشدّد مشيئة والده الذي لا يأبه كثيراً للصفات الحميدة.

ياسانْت : يا للأسف، نحن كثيراً ما نضطر الى مجابهة الصعوبات وتذليل العقبات لننعم بما لمسناه من هيام حبيب ووفاء زوج، أروع ما في الحب هو خلّوه من الشكوك التي تدمي الفؤاد أحياناً، والتمتع بعذوبة الوفاء الذي يربط قلبَيْن جمعهما التفاهم والوئام.

إسْكابان : انتما تسخران من الواقع المرير على ما ارى. لأن صفاء الحب هو حال لا يدوم، وقد قيل ان العذاب في العشق مستطاب، وكالمغناطيس يجتذب

الأفئدة ويوحّدها. وما دامت الحياة متقلّبة الأهواء بين شقاء وهناء، فليس سوى مجابهة الصعاب التي تزيد المهج شوقاً والمشاعر لذّةً وعطاء.

زِرْبينات : والآن، ارجوك، يا اسكابان، أن تقصّ علينا كيف تدبّرت امرك لكي تسحب بحيلة مبلغاً لا بأس به من سيدك العجوز البخيل ؟ فأنا يطيب لي ان اسمع مثل هذه الروايات التي تثلج صدري وتريح اعصابي وقد وتّرتْها معاندات الأيام.

إسْكابان : ها هوذا سيلفاستر، وهو أبرع مني في سرد التفاصيل. فأنا أخطط لانتقام رهيب اتذوّق منذ الآن طعمه العذب.

سيلْفاسْترْ : لماذا يسرّك ما تُنزله بالناس من شرور ؟

إسْكابان : لأني أهوى المغامرة والاقتصاص من المناوئين اللؤماء.

سيلْفاسْترْ : لقد سألتك أن تصلح نواياك، وان لا تُلحق أي ضرر بسواك.

إسْكابان : نعم. ولكني لن أرتاح إلّا عند إتمامي ما يُرضي ضميري.

سيلْفاسْترْ : تبّاً لك من شقيّ. أهكذا تفرح بتعذيب أبناء مجتمعك ؟

إسْكابان : ولماذا أنت مهتمّ بهذا الأمر ؟

سيلْفاسْترْ : لأني أتوقّع ما تجتذبه لنفسك من عواقب وخيمة.

إسْكابان : لن تكون هذه النتائج إلّا من نصيبي ولن ينوبك انت منها أي إزعاج.

سيلْفاسْترْ : لا شك في أن مصيرك ملك يدك، ولا دخل لأحد في ما يحلّ بك من شقاء وعذاب.

إسْكابان : لم أخفْ يوماً من أية شدّة. لأني أكره المستبدين المعتدين ولا أبالي إن لحق بي بعض الأذى، بعد أن أردّ كيدهم الى نحرهم.

زِرْبينات (لإسكابان) : نحن بحاجة الى مساعدتك، يا صاحب الهمم.

إسْكابان : سأعود اليكم بعد فترة. ولا أحد يستطيع أن يصدّني عن إنجاز ما أصمّم عليه، إلّا اذا عدلت أنا عمّا أرغب فيه، على أثر اكتشاف السرّ الذي كان علي أن لا أبوح به.

المشهد الثاني

جيرونت، وإسكابان

جيرونْت : ماذا فعلت، يا اسكابان، وأين صارت قضية ولدي ؟

إسْكابان : ابنك، يا سيدي، في مأمنٍ من كل اذى. لكنك أنت تتعرّضِ لخطر جسيمٍ داهِمٍ. لذا أودّ أن تبقى قابعاً في منزلك لا تغادره الى حين قريب إن شاء الله.

جيرونْت : أي خطر يهدّدني ؟

إسْكابان : في هذه الساعة بالذات، يبحث عنك شخص مجهول ينوي أن يقضي عليك.

جيرونْت : عليّ أنا ؟

إسْكابان : نعم، عليك أنت.

جيرونْت : ومن هو ؟

إسْكابان : شقيق الصبية التي تزوّجها أوكتاف، لأنه يعتقد أنك باستبداد تهدم سعادة اخته حين شئت أن تستبدلها بابنتك. الأمر الذي يفضي الى إبطال زواج شقيقته. وعلى اساس هذه الفكرة المشؤومة راح يصب على شخصك جام غضبه ونقمته. وقد صمّم على الانتقام منك لشرفه المهان. وجميع اصحابه هم من حملة السيوف والسكاكين المناوئين نظيره. ولقد ابصرت هنا وهناك برفقته بعض الجنود يستجوبون المارّة الذين يصادفونهم، ويحتلّون ارصفة الشوارع التي يجوبونها بحثاً عنك، ويراقبون جوار منزلك. وهكذا لم يعد بإمكانك أن ترجع الى بيتك، ولا أن تتقدّم خطوة واحدة الى اليمين او الى اليسار، الى الامام أو الى الوراء بدون أن تتعرّض للوقوع في قبضتهم الرهيبة.

جيرونْت : وماذا عليّ أن أفعل، يا صديقي اسكابان ؟

إسْكابان : لست ادري، يا سيدي. فهذه مسألة غريبة عجيبة. وتراني ارتجف هلعاً من قمة رأسي الى أخمص قدميّ. إنتظر ها هنا. (يلتفت، ويتظاهر بأنه ذاهب الى صدر خشبة المسرح ليرى إن كان هناك من أحد).

جيرونْت (مرتجفاً) : ما العمل ؟

إسْكابان (عائداً) : لا، لا، لا سبيل للخوف مطلقاً.

جيرونْت : ألا تجد سبيلاً لتخليصي من هذه الورطة ؟

إسْكابان : أحاول أن أتخيّل لك وسيلة. لكنني سأجاذف جدّيّاً بحياتي، وأخشى ان اتعرّض للقتل.

جيرونْت : ما بالك فزعت. تصرّف، يا اسكابان، كخادم غيور. ارجوك ان لا تتركني لمصيري المريع.

إسْكابان : لا أُحبَّ عليّ من ذلك. فأنا أحفظ لك من المحبة والعطف ما لا يطاوعني على تركك بدون مساعدة.

جيرونْت : أُؤكد لك اني سأكافئك على اخلاصك. وأعدك بأن أمنحك ردائي هذا قبل ان يهترئ كثيراً.

إسْكابان : إنتظر. هوذا حلّ مناسب اهتديت اليه في هذه اللحظة لإنقاذك. عليك أن تختبئ في هذا الكيس الكبير، وان ...

جيرونْت (يُخيَّل اليه أنه رأى أحداً) : آه !

إسْكابان : لا، لا. لا، لا. ليس من أحد. لا بد لك من أن تختبئ داخل الكيس، وان تمتنع عن أية حركة. وأنا سأحملك على ظهري كرزمة بضاعة، وانقلك هكذا، مجتازاً صفوف أخصامك، حتى اصل بك الى منزلك حيث يمكنك أن توصد الأبواب والنوافذ وتستدعي من يحميك من كل عنف وعدوان.

جيرونْت : ما هذه الفكرة الرائعة.

إسْكابان : ليس انسب منها، وسترى. (على حدة) ستدفع لي غالياً ثمن استهتارك بي طوال هذه المدة.

جيرونْت : ماذا تقول ؟

إسْكابان : أقول إنك ستلجم أشداق أعدائك. أرجو الآن أن تتكوّم في قعر الكيس وأن تقبع في داخله بدون حراك خوفاً من أن ينوبك أي ضرر.

جيرونْت : دعني أتصرّف. فأنا أعرف كيف أختبئ داخله ...

إسْكابان : هيا، عجّلْ وتوارَ عن العيان. فهذا أحد المناوئين يبحث عنك. (يغيّر صوته) : سأحظى حتماً بقتل هذا المدعو جيرونت. لا بدّ من أن يُسدي

أحد اليّ معروفاً ويدلّني عليه ؟ (لجيرونت بصوته العادي) : لا تتحرّك. (يغيّر صوته) : لا بدّ من أن أعثر على هذا الشقي، ولو اختبأ تحت سابع طبقات الأرض. (لجيرونت بصوته الطبيعي)، لا تدعْه يراك. (تارةً يغيّر صوته، وطوراً يعيده الى طبيعته) : لا تدعْه يراك. (تارةً يغيّر صوته، وطوراً يعيده الى طبيعته) — يا حامل الكيس. — نعم، يا سيدي. — سأدفع لك خمس فرنكان إن أرشدتني الى مكان جيرونت. — هل تبحث عن السيد جيرونت ؟ — نعم، أمره يهمّني كثيراً. — ولماذا تبحث عنه، يا سيدي ؟ — أبحث عنه لأضربه بهذا القضيب حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة. — يا سيدي، ضربات القضيب ليست لأمثال السيد جيرونت. — وما ادراك من هو جيرونت هذا المحتال. — السيد جيرونت ليس محتالاً. — هل تكذّبني، يا هذا، وتتحدّاني ؟ — انا ادافع كما يليق بي عن رجل شريف تكيل له الاهانات بدون حساب. — هل انت من اصدقاء جيرونت ؟ — نعم، يا سيدي. — اذا كنت حقّاً من اصحابه فما عليك إلا ان تتلقّى. (يضرب اسكابان الكيس بالقضيب عدّة مرّات). — هذا ما أُخبئه له. — آه آه، يا سيدي. آه. آه. مهلاً، مهلاً. — خذ له هذا من قِبَلي. الوداع. — آه. حَمَلَتْك الأبالسة، أيها الوحش الضاري. آه، آه. (يعنّ اسكابان ويتململ، وهو يحرّك ظهره، كما لو كان فعلاً قد تلقّى ضربات القضيب).

جيرونْت (يخرج رأس من الكي)س : آه، يا إسكابان، لم أعُدْ قادراً على التحمّل.

إسكابان : أنا آسف كل الأسف، يا سيدي، وأكتافي أنا أيضاً تؤلمني إلى حدّ لا يطاق.

جيرونْت : ماذا تقول ؟ أكتافي هي التي تلقّت الضربات الموجعة.

إسْكابان : لا، أبداً، يا سيدي، كانت الضربات تنهال على ظهري أنا.

جيرونت : ما هذا الكلام ؟ أنا شعرت بالضربات التي انهالتْ على ظهري، ولا أزال أحسّ بالوجع.

إسْكابان : لا، يا سيدي، أؤكد لك أن القضيب نزل على أكتافي أنا، وعلى ظهري أيضاً.

جيرونْت : كان عليك أن تزيح قليلاً الى الوراء لتجنّبني قساوة الضرب.

إسْكابان (يعيد رأس جيرونت الى داخل الكيس) : إحذر الضرب. ها هوذا شقيّ

اخر غريب السحنة يقترب. (يعيد اسكابان اللعبة ذاتها كما سبق). ــ عليّ أن أواصل البحث عن جيرونت حتى أعثر عليه. (لجيرونت بصوته الطبيعي) : إختبئ جيداً. ــ ألَا قُلْ لي، يا رجل، هل تعرف أين يمكنني أن أجد جيرونت الذي أبحث عنه ؟ ــ لا، يا سيدي، أنا لا أعرف أين هو جيرونت. ــ ألَا قُلْ لي بصراحة، أين هو ؟ فأنا لا أريد له أي أذى، بل أودّ أن أُتحفه بهديّة يحملها على ظهره، وهي عبارة عن ١٠ أو ١٥ قضيباً، ثم ثلاث أو أربع طعنات في صدره. ــ أؤكد لك، يا سيدي أني لا أعرف أين هو. ــ أظن أن شيئاً يتحرّك داخل هذا الكيس. ــ لم أفهم ما تقصده، يا سيدي. ــ لا بد من أن يكون شيء ما داخل الكيس. ــ لا، لا، أبداً. ليس فيه أي شيء. ــ كم أودّ أن أخترق هذا الكيس بسيفي. ــ إياك أن تفعل، يا سيدي. ــ اذاً أرني ما بداخله، وإلّا ... ــ مهلاً. ــ لماذا تطلب مني ان أتمهّل ؟ ــ لن ترى أبداً ما بداخل الكيس. ــ ما هذا الكلام ؟ ــ هذه بعض ملابس تخصّني. ــ قلت لك، أرني ما بداخله. ــ وأنا أقول لك أنه يحوي بعض ملابسي. ــ لا أريد أن أمسّك بسوء. ــ لماذا اذاً تلحّ كل هذا الإلحاح، اذ كنت لا تنوي أي شرّ. ــ إن لم تطاوعني وتكشفْ لي عما في داخل الكيس ستنال بعض الضرب بهذا القضيب. ــ وانا لا يهمني تهديدك. أكرّر عليك أكشف لي عما في داخل الكيس. (ينهال ضرباً على الكيس، ويصرخ إسكابان كما لو كانت الضربات تنهال عليه): ــ آه، آه، آه. يا سيدي، آه، آه، آه. ــ والآن الوداع. وإياك أن تعود الى مخاطبتي بوقاحة. ــ ألَا حَمَلَتْك الشياطين الى قعر الجحيم، أيها المحتال اللئيم.

جيرونْت (يُخرج رأسه من الكيس) : أكاد اموت من شدة الوجع.

إسْكابان : وأنا ايضاً أكاد أموت من الألم.

جيرونْت : لماذا ضربني هذا الشرّير على ظهري بمثل هذه القساوة الوحشية ؟

إسْكابان (يعيد رأس جيرونت الى داخل الكيس) : كُنْ على حذر. فها هم خمسة أو ستّة رجالْ شرطة قادمون الى هنا. (يقلّد عدّة اصوات، بالتتالي) : ــ هيا نبحث عن جيرونت في كل الجهات. ــ ولا نوفّر خطواتنا. ــ لنركضْ في مختلف اطراف المدينة بحثاً عنه حتى نجده. ــ من أين نذهب الآن ؟ الى

ـــ هيّا، يا غبيّ، قل لنا أين سيّدك ؟ ـــ ارجوكم، يا سادة، ان لا تسيئوا معاملتي. ـــ اذاً أخبرنا أين هو ؟ ـــ مهلاً، يا سادتي. (يُخرج جيرونت رأسه من الكيس بهدوء، ويلاحظ خباثات اسكابان، وينتبه الى تقلّبات صوته، وهو يصيح) : إن لم تدلّنا على مخبأ سيّدك، ستتلقّى المزيد من الضربات بالقضيب. ـــ انا افضّل ان اتوجّع ألْف مرّة، ولن أبوح لكم بمكان وجوده. ـــ سنقتلك اذاً يا أحمق. ـــ افعلوا بي ما يحلو لكم. ـــ أترغب في تلقّي الضربات ؟ ـــ لن أخون أبداً سيدي. ـــ اذاً تلقَّ. هذا نصيبك من الضرب جزاء عنادك. ـــ آه. (وحين يتأهب إسكابان ليضرب، يُخرج جيرونت رأسه من الكيس. فيهرب إسكابان).

جيرونْت : تباً لك من منافق محتال، أيها الخدّاع الخسيس. أراك تريد أن تقضي عليّ ضرباً.

المشهد الثالث

زربينات وجيرونت

زرْبينات (تضحك بدون أن تبصر جيرونت) : أودّ أن أتنشّق قليلاً من النسيم العليل.

جيرونْت (يظنّ نفسه وحيداً) : أقسم بشرفي أنك ستدفعين الثمن غالياً.

زرْبينات (بدون ان تبصر جيرونت) : ها، ها، ها، ها. ما أروع هذه القصة وما أغبى هذا العجوز المغرور.

جيرونْت : ليس ما يفرح في هذه الحكاية التي لا توحي بالضحك.

زرْبينات : ماذا قلت ؟ وماذا تقصد، يا سيدي ؟

جيرونْت : قلت أن اللباقة تقضي عليك بأن لا تزدري بي.

زرْبينات : وهل أنا ازدري بك ؟

جيرونْت : نعم.

زرْبينات : كيف ؟ ومن يفكّر بأن يسخر منك ؟

جيرونْت : لماذا جئتِ الى هنا لتضحكي عليّ ؟

زِرْبينات : هذا لا يعنيك بتاتاً. فأنا أضحك وحدي بسبب قصّة خطرت ببالي في هذه اللحظة. ولا أدري إن كانت لك بها أية علاقة. ولكني لم أجد فحواها سخيفاً نظير اللعبة التي أقْدَم عليها ابنٌ بحقّ أبيه، لكي يبتزّ منه بعض المال.

جيرونْت : أقْدَم عليها إبنٌ ليبتزّ المال من والده ؟

زِرْبينات : أجل. مهما حاولتَ ان تقف منّي على تفاصيلها، لن تنال مبتغاك.

جيرونْت : أرجوكِ أن تقصّي عليّ هذه الحكاية الطريفة.

زِرْبينات : أودّ بكلِ طيبة خاطر، لأني لا أبالغ في كلامي إن سَرَدْتُها لك. فهي مغامرة ظلّت طويلاً مكتومة كسِرٍّ دفين. لقد رماني قدري بين ايدي جماعة من الجوّالين المصريّين يتنقّلون من مقاطعة الى أخرى، ويكسبون معيشتهم من العِرافة والتنجيم. وحين وصلنا الى هذه المدينة، أبصرني شاب وأحبّني. فاعتقدت أنا أنه كسائر الفتيان الذين يظنّون أن أية فتاة، لمجرّد إسماعها بعض الكلام المعسول، عليها أن تنقاد الى رغبتهم صاغرةً وتخضع لأهوائهم. لكنه وجدني ابيّة لا أسايره كما يبتغي. فبدّل رأيه فيّ، وأعرب لبعض زملائي عن رغبته في الحصول عليّ والاحتفاظ بي لقاء مبلغ من المال يدفعه لهم كي يتخلّوا عني. لكن سرعان ما تبيّن أن عاشقي من أولاد الأُسر المحترمة وأنْ لَا مال في حَوْزته، وأنّ والده الغني بخيل للغاية يصرّ على التمتّع وحده بأطايب الحياة، ولا يبالي إن حرم ولده من أبسط حقوقه. إسمع. لقد خانتني ذاكرتي، ولا يخطر الآن ببالي إسم هذا الرجل المغرور. وساعدْني، واذكرْ لي اسماء بعض ذوات هذه المدينة ولا سيما من طغت علهيم آفة البخل الى اقصى الحدود.

جيرونْت : أنا لا أعرف احداً بهذه الصفة.

زِرْبينات : في اسمه لفظة رون أو رونْت وربما أورونْت. لا، لا. يُدعى. « جي ... جيرونت » نعم، نعم، هذا هو اسمه. وهو بخيل خسيس، كما قلت لك. ولنَعُدْ الى قصّتي. أراد جماعتي اليوم أن يغادروا هذه المدينة الى غيرها. وكاد عاشقي يَفْقدني، لأن لا مال لديه. لو لم يسحب بعض الدراهم من والده

بفضل حيلة إبتدعها خادم في بيت أبيه. واسم هذا الخادم هو... إني أعرفه جيداً، إسمه إسكابان. ويبدو أنه رجل ودود لا مثيل له يستحقّ كل مديح وثناء.

جيرونْت (على حدة) : يا له من دجّال.

زِرْبينات : وهذه هي الحيلة التي لجأ اليها ليبتزّ سيده المغرور. ها، ها، ها. أكاد لا أتذكّرها حتى أضحك من كل قلبي. ها، ها، ها. لقد شاهد الخادم وعاشقي سفينة تركية على وشك الإقلاع. ودعاهما شاب تركي للنزول اليها، وتناولا وجبةً لذيذة من الطعام. وبعد التداول في موضوع هامّ، أعاد الشاب التركي الخادم في زورق نجاة الى الشاطئ، على أن يقابل سيده والد العاشق، ويخبره بأن ابنه سيق الى الجزائر كرهينة، ولن يُفرج عنه إلّا اذا دفع خلال مهلة ساعتَيْن فديةً مقدارها خمسمئة فرنك. ها، ها، ها. غير أن العجوز البخيل غضب وحزن، لأن ليس في صدره أثر للشفقة على ابنه، طبعاً بسبب بخله. اذ ان الفرنكات الخمسمئة المطلوبة منه، هي بمثابة خمسمئة طعنة خنجر يتلقّاها في قلبه المتحجّر، إن اضطر الى دفعها. ها، ها، ها. وإذْ لم يقبل أن يدفعها، نظراً الى تعلّقه بالمال، إحتال عليه خادمه باشكال عديدة. ها، ها، ها. فأراد الأب أن يرسل رجال العدالة لمقاضاة ملّاحي السفينة في عرض البحر. ها، ها، ها. والتمس من الخادم ان يمضي الى الشاب التركي الذي احتجز ولده، وأن يطلب منه احتجازه هو الخادم بدل الشاب، وإطلاق سراح هذا الأخير. لأن الأب لشدّة شحّه لم يشأ أن يدفع الفدية عن ابنه. ها، ها، ها. أخيراً إقترح على خادمه أن يبيع اربعة أو خمسة من ملابس الوالد العتيقة التي لا تساوي كلها اكثر من ثلاثين فرنكاً، ويدفع فدية الابن البالغة خمسمئة فرنك. ها، ها، ها. لقد ادرك الخادم حقارة الأب ودناءته وسخافة اقتراحه، وسماجة تساؤله المتكرّر عما حدا بابنه للنزول الى السفينة المقلعة الى الجزائر، وكان لا يملّ من ترديد سؤاله هذا البليد. وبعد كل هذه التفاصيل المسهبة التي سردتها على مسمعك عن غرابة موقف الاب حيال محنة ابنه اثناء احتجازه واختطافه كرهينة، ولم يظهر عليك، يا سامعي، أي أثر للأسف والحسرة، يُخيَّل اليّ انك لم تتأثّر بفداحة الحادث المؤلم الذي اخبرتك به، فما هو رأيك في الموضوع ؟

جيرونْت : أقول إن الشاب الوقح، لا بدّ من أن ينال عقابه حتماً على يد أبيه بسبب تصرّفه الأرعن على هذا النحو. وإن الصبية المصرية القليلة الحياء التي ندّدت برجل شريف مثلي يلزمها تأديب صارم لأنها أتت الى هذه الديار لتفسد أجواءها، وتستدرج أبناء أُسَرها الى الدعارة التي تمتهنها. وإنّ الخادم المحتال يجب أن أرسله انا جيرونت الى حبل المشنقة ليوضع في عنقه عاجلاً ويزهق أنفاسه جزاء ما جنت يداه الأثيمتان.

المشهد الرابع

سلفاستر، وزربينات.

سيلْفاسْترْ : الى أين تريدين ان تهربي، يا مسكينة ؟ هل أدركتِ أنك كنت تتحدّثين الى والد حبيبك، وتندّدين به.

زرْبينات : لقد شككت بالأمر، وخاطبته في هذا الموضوع بدون ان يكون لي أي قصد أو فكر سيّئ، وكانت غايتي فقط أن أروي له قصته وقصتي معاً.

سيلْفاسْترْ : كيف أيقنتِ أنها قصته ؟

زرْبينات : لأني كنت متأثرة للغاية بما حدث، وكنت أتوق الى تفريج همّي بسردها. لكن هذا غير مهمّ، ولا فرق عندي إن أعجبتْه أو أزعجتْه، إذ انها لا تقدّم ولا تؤخّر بالنسبة الى دوري في سياقها.

سيلْفاسْترْ : كنت تتوقين الى التحدّث، لذا إنسابت على لسانك الكلمات كالشلال المتدفّق، وأنت تروين حكايتك بدون إغفال أبسط التفاصيل.

زرْبينات : لو لم يسمعْها من فمي، لبلغته على لسان غيري.

المشهد الخامس

اركانت، وسيلفاستر

أرْكانْت : يا سيلفاستر.

سيلْفاسْتِرْ (لزربينات) : أُدخلي الى المنزل. ها هوذا سيدي يناديني.

أرْكانْت : إتفقتما معاً، أنت واسكابان المحتال، وابني الغبي لكي تتمرّدا على سلطتي الوالدية وتُخالفا رغبتي، وأنتما تظنّان اني سأسكت على وقاحتكما.

سيلْفاسْتِرْ : اذا كان إسكابان، يا سيدي، قد تخابث عليك، فأنا لست مسؤولاً عنه، ولا علاقة لي بما فعله.

أرْكانْت : سنناقش هذه المشكلة قريباً، يا محتال. فأنا لست ممّن يسكتون عن مثل هذه الألاعيب الدنيئة.

المشهد السادس

جيرونت، وأركانت، وسيلفاستر.

جيرونْت : ليتك تعلم، يا سيدي أركانت، كم أرهقتْني هذه السفالات.

أرْكانْت : أنا ايضاً عافت نفسي هذه الخزعبلات الحقيرة.

جيرونْت : إختلس مني الدجّال اسكابان بحيلةٍ خسيسة خمسمئة فرنك.

أرْكانْت : هذا المحتال نفسه اختلس مني ايضاً مبلغ مئتي فرنك.

جيرونْت : ولم يكتفِ بالفرنكات الخمسمئة التي ابتزّها مني، بل عاملني بطريقة غادرة أخجل من أن أرويها. غير أنه سيدفع لي ثمنها غالياً.

أرْكانْت : وأنا ايضاً سأؤدّبه بأسلوب لن يعجبه، على المهزلة التي وطّني فيها.

جيرونْت : أجل، وأنا سأنتقم منه انتقاماً رهيباً.

سيلْفاسْتِرْ (على حدة) : أتمنّى أن لا يكون لي نصيب في كل هذه القصص المخجلة.

جيرونْت : هذا ليس كل ما في الأمر، أيها السيد اركانت. فالمصيبة تجرّ دائماً وراءها مصيبة أخرى. فقد كنت آمل وأُمنّي نفسي بأن أجد ابنتي التي كنت أعلّق عليها كل رجائي. وها أنا قد علمت من صاحبي بأنها ذهبت منذ زمن طويل الى تارانْت. وبلغني انها هلكت في حادثة غرق الباخرة التي أقلّتها.
أرْكانْت : لماذا بقيتْ في تارانت، ولم تَعُدْ برفقتك لتُدخل السرور الى قلبك ؟
جيرونْت : لديّ أسباب قاهرة ودواعي عائلية اضطرتني الى كتمان سرّ زواجي الثاني حتى الآن. لكن ماذا أرى ؟

المشهد السابع

نيرين، واركانت، وجيرونت، وسيلفاستر.

جيرونْت : أجدك هنا، أيتها المرضع، فماذا جرى ؟
نيرين (تجثو على ركبتَيْها) : آه، يا سيدي باندولف، ما ...
جيرونْت : ناديني جيرونت، ولا تلفظي بعد اليوم ذاك الاسم الذي ذكرته. فالأسباب التي دفعتني الى اتخاذه موقّتاً في تارانت قد زالت الآن.
نيرين : كم أدخل تغيير اسمك على قلوبنا من الحزن والقلق. فجئنا الى هنا للإطمئنان عنك.
جيرونْت : أين تركتِ ابنتي وأمّها ؟
نيرين : ابنتك، يا سيدي، ليست بعيدة عن هذا المكان. ولكن قبل أن تشاهدها، لا بد لي من طلب عفوك، لأني اضطررت الى تزويجها بسبب حالة الإهمال والضياع التي وجدنا أنفسنا غارقين فيها.
جيرونْت : ابنتي تزوّجت ؟
نيرين : أجل، يا سيدي.
جيرونْت : ومن تزوّجها ؟
نيرين : شاب يُدعى أوكتاف، ابن سيّد اسمه أركانت.
جيرونْت : يا الهي.

أرْكانْت : ما هذه الصُدْفة ؟
جيرونْت : خذيني، هيا خذيني حالاً الى حيث هي كي أراها.
نيرين : ما عليك إلّا أن تدخل الى هذا المنزل لتشاهدها.
جيرونْت : سيري أمامي. وأنت، يا سيدي أركانت، إلْحَقْ بي.
سيلْفاسْترْ : هذه مغامرة مباغتة لم يسبق لها مثيل.

المشهد الثامن

اسكابان، وسيلفاستر

إسْكابان : ارجوك، يا سيلفاستر ان تقول لي ماذا يفعل اصحابنا ؟
سيلْفاسْترْ : لديّ نبآن ابلغك إياهما : الأول، ان قضية أوكتاف قد سُوِّيَتْ، وتبيّن أن ياسانت هي ابنة السيد جيرونت. وشاءت الصدفة أن يؤدّي تحفّظ ابويها الى اتخاذ قرار زفافها. والنبأ الثاني هو أن العجوزَيْن يتآمران عليك، ولا سيما السيد جيرونت.
إسْكابان : هذا غير مهمّ. فلم تُرهبْني التهديدات يوماً، لأنها كالغيوم العابرة لا تلبث أن تنقشع.
سيلْفاسْترْ : كن على حذر. إذْ لا يُستبعَد أن يتّفق الابنان والوالدان ويتفاهم الجميع معاً، وتبقى أنت متهماً بالجرم.
إسْكابان : دعني أتصرّف، فلن يصعب عليّ أن أُهدّئ الخواطر وأن ...
سيلْفاسْترْ : إنسحب من هنا. فها هم قد أقبلوا.

المشهد التاسع

جيرونت، وأركانت، وسيلفاستر، ونيرين، وياسانت

جيرونْت : هيا، يا ابنتي الحبيبة، عودي الى منزلي. فلن يكتمل فرحي إلّا حين أبصر والدتك الى جانبك.

أرْكانْت : ها هوذا أوكتاف قد أقبل.

المشهد العاشر.

أوكتاف، وأركانت، وجيرونت، وياسانت، ونيرين، وزربينات، وسيلفاستر.

أرْكانْت : تعال، يا ولدي، نفرح معك بزواجك المبارك. فالسماء ...

أُوكْتاف (بدون أن يبصر ياسانت) : لا يا أبي. كل اقتراحاتك في موضوع زواجي لا تُجْدي نفعاً. يتحتّم عليّ أن أصارحك بما أخفيه عنك. فلا بدّ من أن تكون قد علمت بارتباطي في هذا الموضوع الجوهري.

أرْكانْت : نعم، ولكنك لا تعلم ...

أُوكْتاف : انا مطّلع على كل ما يجب أن أعرفه.

أرْكانْت : أريد أن أخبرك بأن ابنة السيد جيرونتَ ...

أُوكْتاف : ابنة السيد جيرونت لا علاقة لها البتّة بوضعي انا.

جيرونْت : إنها ...

أُوكْتاف (لجيرونت) : كلّا، يا سيدي. أرجوك أن تعذرني، لأني تصرّفت حسب قراري النهائي وصالحي الخاصّ.

سيلْفاسْترْ (لاوكتاف) : أَنْصِتْ إليّ.

أُوكْتاف : لا أريد أن أسمع منك حرفاً واحداً في هذا الموضوع المنتهي.

أرْكانْت (لأوكتاف) : ان زوجتك ...

أُوكْتاف : قلت لك ان لا رغبة لي في السماع، يا ابي. أفضّل ان اموت على

أن أتخلّى عن حبيبتي وزوجتي ياسانت. (يجتاز خشبة المسرح ليقف الى جانبها). نعم، مهما فعلتَ، لا فائدة منه الآن، لأني قد ارتبطت بها بوثاق الزفاف، وسأحبها طوال عمري، ولن أرضى بزوجة بديلة عنها.

أرْكانْت : في الحقيقة، هي المرأة التي أنوي أن أزفّها اليك. وخلافنا ليس في الواقع إلّا سوء تفاهم لا أكثر ولا أقلّ.

ياسانْت (تشير الى جيرونت) : أجل، يا اوكتاف، ها قد وجدت ابي وزالت عني وعنك كل الشدائد والهموم.

جيرونْت : لنذهب الى بيتي حيث نتحدّث بارتياح أوفر.

ياسانْت (تشير الى زربينات) : أرجو، يا أبي، ان لا يكون لديك أي مانع لإحتفاظي بصداقة هذه الصبيّة التي أحبّها. وهي فتاة تستحقّ كل التقدير والثناء، وستنال إعجابك عندما تعرفها معرفة وافية.

جيرونْت : تريدين أن أقبل في بيتي صبيّة تزوجها أخوك بدون علمي، وقد ألْصقت بي منذ هنيهة ألْف حماقة وحقّرتني وازدرتْ بي.

زرْبينات : أرجوك، يا سيدي، ان تسامحني. لم أكنْ لأتكلّم عنك هكذا لو عرفتُ من أنت. فقد سمعت عنك شتى الأخبار غير المشجّعة قبل أن أتعرّف اليك.

جيرونْت : ماذا بلغك عني ؟

ياسانْت : ارجوك، يا ابي، ان تعلم ان ما يحفظه لها أخي في أعماق قلبه من الحبّ والتقدير ليس جرماً، وأنا أضمن ما تتحلّى به من الفضائل والحسنات.

جيرونْت : هذا جميل جداً. فأخوك أصرّ على الاقتران بها، رغم أنها فتاة مجهولة مهنتها التشرّد.

المشهد الحادي عشر

لياندر، واوكتاف، وياسانت، وزربينات، وأركانت، وجيرونت، وسيلفاستر، ونيرين.

ليانْدر : لا تتذمّرْ، يا ابي، من إقدامي على الإقتران بمجهولة، لا أصْل لها ولا مال لديها. ان الأشخاص الذين انتزعتها من بينهم أكّدوا لي بالبرهان أنها ابنة رجل شريف من اسرة محترمة تقطن هذه المدينة، لأنهم اختطفوها وهي في الرابعة من سنّها. وقد أعطوني هذه الاسوارة التي كانت في معصمها. وأعتقد أنها خير دليل يساعدنا على الاهتداء الى أهلها.

أرْكانْت : يا الهي. حال مشاهدتي هذه الاسوارة، عرفت انها تخصّ ابنتي التي فقدتها، وهي في العمر الذي ذكرته الآن.

جيرونْت : إبنتك ؟

أرْكانْت : أجل هي ابنتي، وملامحها تعيد الى ذاكرتي صورة محيّاها حين كانت صغيرة السنّ.

ياسانْت : ايتها السماء، ما هذه المفاجآت الحلوة الخارقة التي حدثت في هذا النهار ؟

المشهد الثاني عشر

كارل، ولياندر، واوكتاف، وجيرونت، واركانت، وياسانت، وزربينات، وسيلفاستر، ونيرين.

كارْل : أعذروني، يا سادتي. لقد جرى الآن حادث غريب التوقيت.

جيرونْت : ما هو ؟

كارْل : مسكين اسكابان.

جيرونْت : هو دجال محتال، أتمنّى شنقه.

كارْل : مع الاسف، يا سيدي، لن تحتاج بعد الآن الى هذا العناء. عندما كان مارّاً قرب ورشة بناء سقط حجر ضخم على رأسه وهشّمه كأنه مطرقة. وهو في هذه اللحظة ينازع، وقد إلتمس منّا أن نأتي به الى هنا ليشاهدكم ويخاطبكم قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.
أرْكانْت : أين هو حالياً ؟
كارْل : ها هوذا.

المشهد الثالث عشر

اسكابان، وكارل، وجيرونت، وأركانت، الخ.

إسْكابان (يحمله رجلان، ورأسه معصوب بالشاش، كما لو أصابه جرح بليغ): آهْ، آهْ، يا سادتي، ترونني... آه، ترونني في حالة يُرثى لها. آه، لم أشأْ أن أموت بدون أن آتي واطلب عفو جميع الأشخاص الذين أغظتهم وأسأت اليهم. آه، نعم، يا سادتي، قبل أن أفارق الحياة، أَلْتمس من قلوبكم السمحة أن تغفر لي جميع حماقاتي، ولا سيما ما فعلته بالسيد أركانت والسيد جيرونت. آه، آه.
أرْكانْت : انا من جهتي سامحتك. فيمكنك أن تموت بسلام ...
إسْكابان (لجيرونت) : امّا أنت، يا سيدي، فقد أسأت اليك اكثر من سواك لأني أوسعتك ضرباً بالقضيب ...
جيرونْت : لا تقلْ أكثر من هذا. فأنا أيضاً قد سامحتك.
إسْكابان : لقد أمعنتُ في الإساءة اليك حين أوسعتك ضرباً، وأنا أُوهمك بأني أحميك من أعدائك.
جيرونْت : دعنا من هذا الحديث.
إسْكابان : أشعر، وأنا أموت، بألم شديد كأنه ناجم عن الضرب بالقضيب ...
جيرونْت : يا الهي. قلت لك كَفَى، أسكتْ

إسْكابان : هذه الضربات الموجعة التي أنزلتها بك ...
جيرونْت : قلت لك أصمتْ، وانْسَ كل ما مضى.
إسْكابان : أنا آسف كل الأسف. فقد غمرتموني بكرم أخلاقكم. ولكن، هل حقّاً سامحتني من كل قلبك، يا سيد جيرونت، وغفرت لي ضربي إياك بالقضيب ؟ ...
جيرونْت : أجل، لا تَعُدْ الى ذكر حرف ممّا مضى. أجل، غفرت لك كل إساءاتك.
إسْكابان : الآن هدأ بالي بهذه المسامحة الأكيدة الشاملة.
جيرونْت : أجل، أنا سامحتك وغفرت لك جميع إساءاتك، بشرط أنْ تموت.
إسْكابان : ماذا تقول، يا سيدي ؟
جيرونْت : اذا استغربت قولي، أتراجع عنه فوراً.
إسْكابان : آه، آه، ها قد عادت الأوجاع تدبّ في أوصالي بشدّة.
أرْكانْت : ايها السيد جيرونت، إكراماً لإبتهاجنا، يجب عليك أن تغفر له وتسامحه بدون أي شرط.
جيرونْت : فلْيكنْ.
أرْكانْت : هيّا بنا اذاً لنتعشّى سويّةً ونحتفل بأفراح يومنا هذا.
إسْكابان : وأنا أودّ أن أجلس الى مائدتكم متصدّراً، بانتظار أن أموت في المستقبل، بعد العمر الطويل.

(تمّت)